

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقفا

لأخبار دول المغرب الأقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

obeykandi.com

الدولة المرينية

الحبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب
وذكر أوليتهم وأصلهم



اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة إلى صبيين ، النطقة الأولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مسوفى ، والنطقة الثانية هي التي كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الأقصى ، هؤلاء هم الذين تعنى القصر الان بذكرهم .

فاعلم أن جيل زناتة في المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف النعم والافر وهم لهذا العهد ، اخذون من شعار العرب في سكنى انخيام واتخذ الابل وركوب النخيل والتغلب في الارض وابالاف الرحلتين وتحلف الناس من العمران والابانة من الانقياد إلى النصفة ، وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتراطون بها وهي مشهورة بوعها عن سائر لغات البربر ، ومواضعهم في سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب

فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي أفريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهالسين لهذا العهد ، وأذعنوا لحكمهم ، والأكبر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم آخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواغن بمجالات القفر من فيجيج إلى سجلماسة إلى ملوية ، وربما يخطون في ضلعهم إلى بلاد الزاب ويذكر نسابهم أن الرئاسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزير بن

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبى الجيل
وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة
وعسكر وخمسة أبناء علات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه
الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزير لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة بن
محمد وكان الاكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده
ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة فى بعض الحروب (*)
التي كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد
الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر ولم يزل مطاعا فيهم
الى أن استتفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وأبلوا
فيها البلاء الحسن ، وأصاب محيو بن أبى بكر يومئذ جراحات هلك منها
بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق
ابنه من بعده وبقائها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله .

الخبر عن دخول بنى مرين أرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك

كان السبب فى دخول بنى مرين لهذا القطر المغربى أنه لما كانت وقعة
العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية
المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم
الذى تحيف الناس الاقليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فبايع الموحدون ابنه
يوسف المنتصر وهو يومئذ صبى حدث لا يحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك
أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على
الدولة الموحدية فأضعفتها لحينها وأمرضتها المرض الذى كان سببا لحينها ،

(*) انظر هذه الحروب فى الذخيرة السنية صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ،
يتنقلون في تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم
الدولة بهزيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا
حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد

وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوه زمان الربيع والصيف
فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة
أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكرسيف ثم شدوا
الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى
اذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله
وفئت حماته وأبطاله وعريت من أهله وأوطانه وخف منها سكانه وقطانه
ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكفاف
فسيحة المزارع متوفرة العشب لقله راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها
فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هي عليه من
الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فاغتموا الفرصة وأقبلوا مسرعين
بنجعهم وحللهم وانتشروا فى نواحي المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم
واكسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعقلها وتم
لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله.



الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى

رحمه الله



لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن
أبى بكر بن حمامة بن محمد المرينى ، ففكر عيئهم وضررهم بالمغرب وأعضل
داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة
بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا

كثيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي علي بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بني مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك

واتممل الخبر بنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أنقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصمدوا الى الموحيدين فالتقى الجمعان بوادى نكور (*) فكان الظهور لبني مرين على الموحيدين فهزموهم وقتلوهم وامتلات الايدى من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخصصون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتماد الفدن بالزرع وأصناف الباقلى فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق فى ذى الحجة من السنة المذكورة بجموع بني مرين الى رباط تازة (*) حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحربه فى جيش كثيف من الموحيدين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الأسلاب والخيل والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل بني مرين ، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها الثناء والظهور على أعدائكم



(*) وتمت المعركة بحفص الوادى ما بين رباط تازا والمقرمدة (الذخيرة السنينة ص ٢٧ طبع الجزائر)

(*) راجع الذخيرة السنينة فى أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق

رحمه الله

بسم الله

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدون حصل فى نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضائق صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالفوا الامير عبد الحق وعشيرته الى مظاهره الموحدون وأولياهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالعز والبداءة ، فأغراهم الموحدون يومئذ بنى مرين ليتصفوا لهم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين بأقبال العرب والموحدون وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى فى أمر هؤلاء العرب المقبلين إلينا ؟ فقال : يامعشر مرين أما مادمت فى أمركم مجتمعين ، وفى آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجددلك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله ، فنهض الامير عبد الحق فى جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقربة من وادى سبو على أميال من تافراطست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأمرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بإيمانها أن لايدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا النجد اقراهم ، وصبروا صبرا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم فى الشعاب والادوية ورؤوس الهضاب ، واحتووا على ما كان فى محلتهم من السلاح والخيول والاثاث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله



بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته

قالوا كان الامير عبد الحق المرينى مشهورا فى قومه بالتقى والفضل والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، موصوفا فى سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويؤثر المساكين ، ويخو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت قبلنسوته وسراويله يتبرك بهما فى جميع احياء زناته ، وكانوا يحملون فضلة وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائما طول عمره فى الحر والبرد لا يرى مفطرا الا فى أيام الاعياد ، كثير الذكر والاوراد لا يفر عنها فى سائر الحالات متحريا لاكل الحلال لا يقتات الا من لحوم ابله وألبانها أو ما يعانيه من الصيد ، معظما فى بنى مريس مطاعا فيهم يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه

حكى ابن أبى زرع عمن حدثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فى وفد من أعيان فاس وقفهاها وذلك فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى فى مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب « كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قال فعل واذا عاهد وفى لم يحلف بالله قط بارا ولا حائنا ولم يشرب مسكرا قط ، ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولادة وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخبر صالح أو عابد قصد لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سنا لاعدائه قاهرا لهم يوما وجدنا الا ببركته وبركة من دعا له من الصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق فى ابتداء أمره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة فى منامه كأن شعلا أربعا من نار خرجن منه فعلمون فى جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تمليك بنه الأربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي
 رآها عبد الملك بن مروان من بولته في المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن
 ولي الخلافة أربعة من بنه الوليد وسليمان وي يزيد وهشام
 وكان للأمير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه
 في حرب رباح وعثمان ومحمد وأبو بكر ويعقوب وهؤلاء الأربعة هم الذين
 ولوا الأمر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو
 عياد وبنت هي العاشرة والله أعلم

الخبر عن رياسة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رباح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الأمير
 أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بسباب
 أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الأمير أبو
 سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفنهما أقسم أن لا يرجع عن حرب رباح حتى يثار
 بمائة شيخ منهم فसार اليهم وأثخن فيهم حتى شفا نفسه وأدعوا الى الطاعة
 ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة

ثم ضعفت شوكة الموحدين وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم
 على ربوة الاضمحلال وتقلص ظل حكامهم عن البدو جملة وفسدت السابلة
 واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الأمير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل
 برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر
 الدين والنظر فى مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ،
 فसार بهم أبو سعيد فى نواحي المغرب يتقرى مسالكة وشعوبه ويتبع تلولة
 ودروبه ويدعو الناس الى طاعته والدخول فى عهده وحمايته ، فمن أجابه
 منهم آمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع
 به فبايعه من قبائل المغرب هواره وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة
 ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كناسة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصالح سابلتهم ثم لما كانت سنة عشرين وستمائة غزا بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناته فأنخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذاية الناس بالغارات والنهب في الطرقات

ثم في سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلاد الهبط فأنخن فيهم حتى كاد يأتي عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتيال عليج له كان رباه صغيرا ، فشب ونسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بخربة في منحره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وإيثار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سألنا في ذلك سنن أبيه رحمه الله



الخبر عن رياسة الامير ابى معروف محمد بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معروف محمد بن عبد الحق ، فأقضى سنن أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المامون صاحب مراکش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها في المغارم ، ثم نزل بنو مرين في بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو محمد في عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج فاختلعا ضربتين هلك العليج باحدهما وخرج محمد بالاخرى فاندمل جرحه وصار أثرا في وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا

وبقى بنو عبد المومن من أثناء ذلك في مرض من الإيام وتناقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايامضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المامون سنة

أربعين وستمائة وولى أخوه علي وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت
عزائمه الى غزو بني مرين ، وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك المواطن
فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج
فنهضو سنة اثنتين وأربعين وستمائة في جيش كيف يناهز عشرين ألفا ،
فسمع الامير أبو معرف بأقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع
يعرف بصخرة أبي ياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر
الفريقان ، ولما كان عشي النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق في الجولة بيد
زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فعر فرس أبي معرف به ، وأمكنك العليج فيه
الفرصة فاعتنمها وطعنه فمات ، فانهزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا
الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحللهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا بجال
غياثة من نواحي تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا
عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما ذكره ، وكانت هذه الواقعة وهلاك الامير
أبي معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين
وستمائة



الخبر عن دولة الامير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله



هذا الامير هو الذي رفع من راية بني مرين وسما بها الى مرتبة الملك
وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر
البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين
بعد مهلك أخيه أبي معرف في التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه
من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بني مرين وأنزل
كلا منهم بناحية منه سوغهم اياها سائر الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من
أشياخ بني مرين أن يتركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسنت حالهم
وكرت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

استيلاء الامير أبى بكر على مكناسة

وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته



ثم سار الامير أبو بكر بمخلته فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكرياء بن أبى حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن ابن أبى العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبى زكرياء الحفصى ، وكانت البيعة من انشاء أبى المطرف بن عميرة المخزومى وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ، ولى القضاء لبنى عبد المومن بمدينة سلا ، ثم استقضوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء له على وساطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث واربعين وستمائة ، ثم آانس الامير أبو بكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراکش بتغلب الامير أبى بكر على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفأوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف أقطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراکش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراکش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبني مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخر

ولما وصل الى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به

فرأى مالا طاقة له به ورأى من الرأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلحق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فتلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فتلقاء أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فعفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فتكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبوبكر ببيعتة فقبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : « ارجع يا أمير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأقش لك تلمسان » فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فان الزناتى أخو الزناتى لا يسلمه ولا يخذله وانا نخاف أن يصطلحا على حربك » فأسعفهم وكتب الى الامير أبى بكر يقول له : « أقم بموضعك وابعث الى بحصة من قومك » فأمدّه بخمسمائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حماسة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ماقدماه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذليك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيرة ونفاسة عليه فدرس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطأوا عليه من غدره فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزناسن وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصنة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله واقتراق جموعه فانتهر الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين واعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدار اليه كنية الفرنج والناشية من الاغزاز ، واتخذ المركب الملوكى من يومئذ ثم أغذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة

استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له

لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بنى عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المومن فأتاه عليها الامير أبو بكر بخيئه ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل الثغر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فاجابوه ووثقوا بعهده وغناؤه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بنى عبد المومن بأسا من صريخهم فابعدوه بأربطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد القشائى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من انتظار لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة انى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراكنش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبة فاس أمن السيد أبا العباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبة بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يلقونه الى مأمته فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازل تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أبى ذبوس فآذنها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد ثغورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى البساط وعمارة القرى والمدائر وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلاح أمر الناس واغبطوا بولايته

انتقاض أهل فاس على الأمير أبي بكر ومحاصرته إياهم

لما استولى الأمير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الاول سنة سبع وأربعين وستمائة الى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستخلف عني فاس مولاة السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الأمير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بني عبد المومن من غير نسبهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين ، وكان من جملتهم طائفة من النصاري نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجي فكانوا من حصة السعود هنالك ، فوقمت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسعود وتحويل الدعوة الى المرتضى فاجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي وفاوضوه في ذلك فوافقهم على رأيهم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الاسود وتضبط البلد حتى نكتب الى المرتضى فيبعث إلينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم الى ذلك وكان ميله الى الموحدين وهواه معهم لكونه صنيعتهم وكان الذي مشى في هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضي المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبي طاط وولده

فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة طلع الاشياخ المذكورون الى القصبة للسلام على السعود على عاداتهم في ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجي واقفا في عسكره أمام القصبة قد واطأهم على ذلك فاقبح على السعود قتلته وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطاقفوا به في أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتهبوه وسبوا الحرم ونصبوا النصراني لضبط البلد وبعثوا ببيعتهم الى المرتضى صاحب مراكش واتصل الخبر بالامير أبي بكر وهو منازل بلاد فازاز فافرج عنها وأغذ السير الى فاس فاناج عليها بعساكره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها .

وبعث أهل فاس إلى المرتضى بالصرىخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد فكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجهها ، سوى أنه استجش على الأمير أبي بكر يغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله لكشف هذه النازلة عمن انجاش إلى طاعته فأجابه يغمراسن إلى ذلك وطمع أن يكون ذلك سببا له في تملك المغرب وسلمنا للضعود إلى ذروة ملكه فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان لالاخذ بحجزرة الأمير أبي بكر عن فاس وأهلها . وانصل بالامير أبي بكر خبر نهوضه إليه لتسعة أشهر من منازلته فاسا ، فجمر الكتاب عليها وصمد إليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقبه بسوادى ايسلى من بسيط وجدة فتزاحف القوم وكانت ملحمة عظيمة هنك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا يغمراسن بن زيان إلى تلمسان بـراسن طمرة ولجام وترك محله بما فيها فاحتوى عليها الأمير أبو بكر وانكفا راجعا إلى فاس لالاخذ بمخنتها فوصل إليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسعمائة وأناخ عليها بكلكنه واسائف ابجد وأرهف الحد وشد في الحصار وأيس أهل فاس من إغاة المرتضى وسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد تسبوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بني مرين فسأنوا الأمير أبا بكر الأيمن فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بانقصر من المال يوم الثورة وقدره مائة ألف دينار فتحملوها وأمكوه من قياد البلد فدخلها في الثالث والعشرين من الشهر المذكور فاقام بها إلى رجب اثنا عشر له وطائبهم بالمال فسوفوه وتلوا في

المقال

فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة من أشياخها وأمنائها وأثقلهم بالحديد وطائبهم بالمال والاثاث الذي انهبوه من القصر فقال له شيخ يعرف بابن النخبة : «انما فعل الذنب مناسبة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ونو فعل الأمير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأي » فقال : « وما ذلك ؟ » قال : « تعمد إلى هؤلاء نفر الستة الذين سموا في الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشرد بهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغرم المال » فقال : « لعمرى لقد أصبت »

ثم أمر بالقاضى المغيلى وابنه وابن أبى طاط وابنه وابن جشار وأخيه
 قتلوا ورفع على الشرفات رؤوسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا وكرها
 قال ابن خلدون : « فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادها لاحكام بنى مريـن
 وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الاصوات وانتادت منهم الهمم ولم
 يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يدفى فتنة» وكان مقتل النفر المذكورين خارج
 باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور



استيلاء الامير ابى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك



لما أكمل الله للامير أبى بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بنى مريـن
 بها رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فازاز فافتحها ودوخ أوطان زناتة
 واقتضى مغارمهم وحسم علل الثائرين بها ، ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا
 ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستمئة فملكها وتاخم الموحيدين بثغرها ،
 واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك
 النفر وضم الاعمال اليه

وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهمه الشأن وأحضر الملا من
 الموحيدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مريـن وسرح العساكر سنة خمسين
 وستمئة فأحاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابی
 عبد الله بن يعلو من مشيخة الموحيدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى
 بنى مريـن فبعث فى المدائن والقبائل حاشرين فأهرعت اليه أمم الموحيدين
 والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمئة
 فى نحو الثمانين ألفا ، ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي
 فاس وصمد اليه الامير أبو بكر فى عساكر بنى مريـن ومن اجتمع اليهم من
 ذويهم

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين الجلال فاقتل مصاف الموحدين وانهزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراکش مفلولا ، واستولى بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه وانهبوا فساطيطه وغنموا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلات أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفي القرطاس أن انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين أخيتهم ليلا فحسبوا أن بنى مرين قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء والله أعلم .

ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابر عرب جشم واستلحم أبطالهم والان من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب على الامر ففسد لابنه أبى حديد مفتاح ابن أبى بكر بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين وستمئة والله تعالى أعلم



استيلاء الامير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة



لما كانت سنة خمس وخمسين وستمئة نهض الامير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سنيط فاقتلوا وانهزم يغمراسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه فثناه عن رأيه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع

ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته فى ملكها فأسرع الامير أبوبكر السير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها بيوم ، ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط فى يده

ويُس من غلبة الامير أبى بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخى الامير أبى بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وجعل مسلحة الجند بها لنظر أبى يحيى القطراني وملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .



وفاة الامير ابى بكر رحمه الله



لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سجلماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سجلماسة أيضا متفقدًا لثغورها فانقلب منها عليلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبى محمد الفشتالى حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما نذكره



الخبر عن دولة ابى حفص الامير عمر بن ابى بكر بن عبد الحق رحمه الله



لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بنى مرين على ابنه أبى حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا فى خدمته ، ومالت المشيخة وأهل العقد والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحسن عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس فى الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التى كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهرًا الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بنى مرين على الاطلاق وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بنى عبد الحق وكانت أمه واسمها أم اليمن بنت علي البطوي رأت وهى بكر كأن القمر خرج من قلبها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقصها عليه فقال ان صدقت رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين وعذلوهم فيما كان منه من التخلي عن الملك وحملوه على العود فى الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وباعوه وصمد الى فاس فبرز الامير عمر للقائه

ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مفلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كنامة واقتصر عمر على اماره مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بنى عبد الواد واستظهر بنى توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطعمهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب فقلهم وردهم على أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق وانتسف

واستباح وأعظم النكاية ورجع الأمير يعقوب الى فاس واقتفى مذهب أخيه الأمير
أبى بكر فى فتح أمصار المغرب وتدوين أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن
فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي نصارى الاصبنيول فكان له بها أثر
جميل وذكر خالد رحمه الله



استيلاء نصارى الاصبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها



كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعمله عمه الأمير أبو بكر
ابن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون
من يده أقام يتقلب فى جهاتها مترصدا للفرصة وامكانها فيها ولما بويع عمه
السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاصبا حتى
نزل عين غبولة وألطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدهما ذريعة
لما أسر فى نفسه من التوئب على الامر فتمت له الحيلة وملك سلا وركب
عاملها أبو عبد الله بن يعلو البحر فارا الى آزمور وخلف أمواله وحرمه ،
فتملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع ، وصرف
الى منازعة عمه السلطان يعقوب وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين يعقوبين
وداخل يعقوب سلا تجار الحرب من الاصبنيول فى الامداد بالسلاح
فتباروا فى ذلك وكثرت سفن المترددين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد
عددهم فعزموا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان
وخمسين وستمائة عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا بسلا فى اليوم الثانى من
شوال فوضعوا السيف فى أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم وانهبوا الاموال
وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بن عبد الله برباط
الفتح

وطار الصرينخ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أخوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربعة عشرة ليلة من حصارها وأئخن فيهم بالقتل ونجاسن نجا منهم الى سفنهم فنشروا قلوبهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربى من سلا الذى يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه الثلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوفاً وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعياً فى صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحسن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة فى هذا الخبر هى الدار التى كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل فى الوادى وكان ذلك من الامر المهم فى دولة الموحدين حسبما سلف قال فى الجذوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة فى نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية » اهـ

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فانه خشى بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد

تأمنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الان بالدار البيضاء ،
فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح
السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار هو الى لقاء
يغمراسن فلقية وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب
ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما نذكره



خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المرنى كان له تسعة من الولد أكبرهم
ادريس وقتل مع والده فى حرب رياح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى
كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قد
ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا
أنهم أحق به منه لان أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على
عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على
رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من
كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض اليهم
السلطان يعقوب وتلف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس
منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من
المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض
لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش
عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف
مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من
الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله
وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجا بالنواحي متنقلا في
الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية
غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب
أمره .



حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها إليه
وهلاك المرتضى بعد ذلك



لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيته
لما نزل المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكتهم
وأقوى لامره عليهم ، فبعث في قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة
وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى الى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل
بعقرها وأخذ بمخنفها وخفقت ألويته على جناتها ، وعقد المرتضى على حربه
لابي دبوس ادريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد المومن فعبأ كتابه ورتب
مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها هلك
فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق فقتل مهلكة في عضدهم وارتحلوا
عنها الى أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى
ابن عبد الله بن وانودين فاقتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين
هزيمة شنعاء وتركوا الاموال والاثاث فاحتوى بنو مرين على ذلك كله وهي
واقعة أم الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه أبي
دبوس بأنه يطلب الامر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانبه فخشي بادرة
المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة احدى وستين وستمائة عند دخوله الى
فاس من محاصرته مراکش فأقام عنده مليا ثم سأله الاعانة على أمره بعسكر
يمده به وآلة يتخذها للملكه ومال يصرفه في ضرورياته ، على أن يشركه في

الفتح والغنيمة والسلطان فأمدد السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين وبالمستجاد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراكش ، وسار أبو دبوس في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه من الموحدين بأمره فأثاروا بالمرتضى فكان من قراره الى آزمور ونزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره في دولته ، واستتب أمر أبي دبوس بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستكف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسنوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياما ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن مدافعتة فاستجاس عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما أمامه بما وراء فكان ما نذكره



وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراكش وربض على ترائبه للتوئب عليها لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بيغمراسن بن زيان ليأخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصريح في ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على ثغور المغرب وإيقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهدف منه حدا ماضيا فأفرج للوقت عن مراكش ورجع عوده على بدئه يريد تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاسا وتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وعدة النزال ثم نهض الى تلمسان منتصفا مجرم سنة ست وستين وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .

وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبأ كل منهما كتائبه ورتب مصافه وبرز

النساء فى القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال وطال القراع والنزال ، ولما فاء الفىء ومال النهار وكثرت حشود بنى مرين جموع بنى عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك فى الحومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولى عهده وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن فى ساقيتهم حاميا لهم من بنى مرين أن تركبهم من خلفهم فكان ردها لهم الى أن وصلوا الى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراكش والله غالب على أمره .



فتح حضرة مراكش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين بها



لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه الى غزو مراكش والعود الى حضارها كما كان أول مرة فنهض اليها من فاس فى شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبروا وادى أم الربيع بث السرايا وشن الغارات وأطلق الإغنة والايدي للنهب والعيث فحطموا زروعها واتسفوا آثارها وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأتخن فيهم واستباحهم ، ثم نزل وادى العبيد فأقام هنالك أياما ثم غزا بلاد ضهاجة فاستباحها ولم يزل ينقل ركابه فى أحواز مراكش ويجوس خلالها الى آخر ذى القعدة من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند أبى دبوس وقالوا له : «يا مولانا كم تقعد عن حرب بنى مرين وقد ترى ما نزل بنا فى حريمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا يرباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بنى عبد الواد ولم يزلوا يقتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم الى رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراكش فى جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعد عن مدد الصريخ فيستمكن منه ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كر عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق الى مراکش وأين منه مراکش فأدركته الخيول وحطمت الرماح فخر صريعا واحتز رأسه وجيء به الى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الاخذ ثانی محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراکش وفر من كان بها من الموحدين الى تينمل وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك الى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبدالمومن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ، ودخل مراکش في عسكر ضخم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه ، وأقام بمراكش الى رمضان من سنة ثم أغزا ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ، ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فعقد على مراکش لمحمد بن علي ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خولته وكان من طبقة الوزراء وأنزله بقصبة مراکش وجعل المسالح في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدوين الاقطار ومحو آثار بني عبد المومن وفصل من مراکش قاصدا حضرة فاس في شوال من السنة المذكورة والله تعالى أعلم

مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله

كانت دولة بني أبي حفص أصحاب تونس وأفريقية فرعا من دولة بني عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بني عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب أفريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاتي يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بني عبد المومن لأنها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة مراكش لم تعرف الا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتاتة هي صميمها وذوآبتها فهذا ونحوه كان بنو أبي حفص يتناولون الى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون الى أبي زكرياء الحفصي تأليفا لاهل المغرب واستجلابا لمرضايتهم واتبائنا لهم من ناحية أهوائهم اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت في قلوبهم فلو دعوا الى غيرها من أول الامر لحاصوا عنها حصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بني مرين أن يدعوا الى بني عبد المومن لانهم أقتالهم واياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في ارتقاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبي حفص ينشطون لذلك ويهادون بني مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مراكش كتب الى أبي عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستمدده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراکش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل الجياد والسلاح والثياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكنانى فتلطف الكاتب المذكور فى ذكر المستنصر على منبر مراکش حتى تم له ذلك بمحضر وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه أبو زكرياء يحيى المدعو بالوائق اقضى سنن أبيه فى ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بهدية حافلة مع قاضى بجاية أبى العباس الغمارى سنة سبع وسبعين وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابی العباس الغمارى هذا بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لأول أمره الدعوة الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم



عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا

وما نشأ عن ذلك من خروج قرابه عليه



كان السلطان يعقوب حين خرج من مراکش بعد فتحها قاصدا حضرة فاس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقة مرض وعك منه وعكا شديدا ، فلما أبلى من مرضه جمع قومه وعقد العهد لأكبر أولاده أبى مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا فأعطوها طواعية وعز ذلك على القرابة من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن عبد الحق وإنما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبى مالك بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم وقلبوا لهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سبلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عش خلافهم
ومدرج فنتهم وكان ذلك في عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم
اليهم بنو أبي عياد بن عبد الحق وشايعوهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب
في أثرهم وقدم بين يديه ابنه الامير يوسف بن يعقوب في خمسة آلاف فأحاط
بهم وأخذ بمخنفهم ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره ومعه مسعود بن
كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب في عساكره فحاصروهم ثلاثة
ولم رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم
وابترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرتة فسألوا منه الاذن في
اللقاء بتلمسان حياء مما ارتكبوه من الخلاف فأذن لهم فأجازوا البحر الى
الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آتس من ميل عمه اليه فبقى بتلمسان
حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منزلة السلطان يعقوب لتلمسان
حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بني عبد الحق بأرض الاندلس
على حين أفقر من الحامية جوها واستأسد العدو على ثغورها وتحلبت شفاهه
لالتهامها ، فتبوأوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع
الحتوف والتزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش
فعميت نكايتهم في العدو واعترضوا في صدره سجي دون الوطن الذي كان
طعمة له في ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين
وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمداغة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس في
رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل
العدوة من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثاقفوه في مستقر عزه وساهموه ،
في الجباية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن
أثرهم فيه حسبما تلمع بالبعض من ذلك ان شاء الله



هجوم النصارى على العرائش وتيشمس من ثغور المغرب



لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها واتبهوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بدهم فركبوا أجفانهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراکش فى التاريخ المذكور ولم يبين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم



وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتم له الصنع بفتح مراکش وورائته كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فعسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراکش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنها وضواحيها ، فاجتمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفاس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادى ملوية فأقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاتبج وقبائل ذوى حسان والشبانات من معقل أهل

السوس الأقصى وقبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهيظ ، فعرض هنالك عساكره وميزها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الأحمر ووفد أهل الاندلس يستصرخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتهام بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واغاثة المستضعفين منهم ، ونظر في صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملا من أشياخ العرب ، وبنى مرين في ذلك فصوبوا رأيه لما كانوا عليه أيضا من إثارة الجهاد ومحبة ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأتاب فذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الاشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبطه واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بنى عبد الواد وبنى راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بنى زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصنم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال : « أبعد مقتل ولدى أصالحه ، والله لا كان ذلك أبدا حتى أثار به وأذيق أهل المغرب النكال من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتزاحف الفريقان فكان اللقاء على وادي ايسلى من بسيط وجدة وعبا السلطان يعقوب كتابه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد فى الميمة وابنه يوسف فى الميسرة ووقف هو فى القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك فى الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان فى جماعة من بنى عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطحتهم رحى الحزب وتقبض على قائدهم برئيس وانهمز الباقون ، ونجا يغمراسن فى فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومرو فى هزيمته بفساطيطه فأضرمها نارا تفاديا من حصرة استيلاء العدو عليها وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب من الغد فى أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فتسارعت ايدي

الجند اليها وجعلوا عاليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفصفا، وكانت هذه الواقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستمائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي فى ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماسى وكان من عليه وزرائه وحماة ميدانه وله فى ذلك أخبار مذكورة ، وكان مهلكه فى شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد ابن عبد القوى بن العباس بن عطية كبير بنى توجين من زناتة فى جيش كثيف من قومه مباها ببنوده وطبولة وآلة حربيه ، وكان قدومه هذا بقصد مظاهره السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقاءه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بنى توجين فيها بتخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وافساد الزرع وتحريق القرى والضياع لما كان يغمراسن يعاملهم فى بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ، ولما امتنعت تلمسان على السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى بالقفول الى مأمنه قبل أن ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقائبهم من التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع الفاخرة والصلوات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والفايزات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجاتهم ومقرهم من جبل وانشرىس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ريثما وصلوا حذرا عليهم من يغمراسن أن ينتهز الفرصة فى اتباعهم ، ثم أقنع السلطان عن تلمسان وثنى عنانه الى المغرب فوصل الى رباط تازا فى أول يوم من ذى الحجة من السنة المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى وسبعين وستمائة فأقام بها الى اليوم الحادى عشر من صفر فتوفى ولده وولى عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب

﴿ الاستقصا - ثالث - 3 ﴾

ثم نهض * الى مراكش فدخلها أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فأقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما ذكره



فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفي بهما



قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسبته وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بني عبد المومن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياستها وضبطها وانتظم في طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبتها لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره في سبته ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبته في سائر أحوالها وكانتا معا من أحصن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني المعروف بابن الأمير في طاعة أبي القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه ، وسلك في طنجة مسلك العزفي في سبته ولبشوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وافتتحوا

(*) قال في الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذي توفي فيه له ولده أبو مالك ارتحل أمير المسلمين إلى حضرة مراكش فوصل إلى رباط الفتح في الثاني عشر من ربيع الاول فأخذ البيعة لولده الأمير أبي يعقوب علي بن مرين بولاية العهد بها لولده الأمير أبي يعقوب ثم سار إلى مراكش فدخلها في نصف ربيع الآخر فقمعد بها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الامير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشمتهم الى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحتها وعائوا في نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فانصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضرروا الغدر فدخلوا في بعض الايام متأبطين السلاح وقتكوا بابن الامير غيلة ، فثارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم في مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت في ملكه خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فنهض اليها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الامير فلهق بتونس ونزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في ايالة العزفي فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملائكة من أشرفها في الشورى

ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحا دولة آل عبد المومن منها وفرغ من أمر عدوه يغمراسن هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها الى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الاقصى كله فنهض الى طنجة ونازلها مفتتح اثنين وسبعين وستمائة لانها كانت في البسيط دون ستة فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتعت عليه ويئس منها وعزم على الافراج عنها فينما هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على النهوض في غده اذا بجماعة من رماتها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بنى مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند اليهم فملكوهم البرج فتسوروا اليه الحيطان وقتلوا عليه سائر ليلتهم الى الصباح ثم تكاثرت جيوش بنى مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى منادى السلطان يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة اثنين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفي أياما ثم لاذ بالطاعة عنى أن يبقى ممتنعا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطراني الذي كان السبب في فتحها عليه ، ولما هلك الأمير أبو بكر استبد القطراني المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكته وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة واتزاعها من أيدي بني عبد الواد المتغلين عليها فنهض اليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة في جموع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات المحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته ، على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظني أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الاسوار ويعلنون بالسب والفحش الى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعاث الجند في أهلها * فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنية ومن كان بها من أشياخ بنى عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكمل بفتحها للسلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تتحيز الى غير فئته



أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ، ولما ضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى التافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطاغية واسلام حصون المسلمين اليه في سبيل تلك الفتنة فمشت رجالات الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فثاروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ونازع ابن هود الرياسة بالاندلس ، ولا تسأل عما ذهب في منازعتهما من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة الشهيرة التي منها قرطبة واشبيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقرب الى الطاغية بما غلب

(*) الذي في الذخيرة السنية صفحة ١٥٨ أن السلطان يعقوب أمن سائر أهلها وعفا عنهم ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم وأصلح أحوالهم وبلادهم

عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض أمر ابن هود عن أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع بسائط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره ومتشبهين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وأبنتى بها لسكناء حصن الحمراء

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا تابه أمر من العدو أو وصل اليه مكروه أن يستنصر عليه بنى مرين ويدراً بهم في نجره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل بإشارة والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقية وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعي الله وإيثار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفابه مختارا له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمته وايقظوا همته فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هنالك وجهاز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم وأجزل أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبى زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفى صاحب سبته السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذى جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر إلى السلطان يعقوب يستنهضه فيه للجهاد في كتاب الذخيرة السنية صفحة ١٥٩ طبع الجزائر .

وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر في الذخيرة السنية ايضا صفحة ١٦٢ .

عشرون أسطولاً فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثاً ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبساطها وامتلات أيديهم من المغانم وأئخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان إلى الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدي عسكره من الأموال وحقتبهم من السبى وركائبهم من السلاح والآث ورأى أهل الأندلس أن قد تأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره .



الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد



ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه ، وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه ، وبادر إلى الإجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من الميل إلى الجهاد وإيثار مبرورات الأعمال ، فبث الصدقات شكراً لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البربر من المرتقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من فرضة قصر المجاز في صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس
اشترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال
عساكره بها فتجافى له عن رندة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازه السلطان يعقوب قدم اليه
الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصريخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو
اسحق من أصهار ابن الاحمر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقمارش
ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان
يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمضه الود
والنصح وسابق ابن الاحمر في ذلك ونازعه في برور مقدمه والاذعان له وربما
صدرت من ابن اشقيلولة في حق ابن الاحمر جفوة بمحضر السلطان يعقوب
أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملات كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين
الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار
الحرب وانتهى الى الوادي الكبير فعقد هناك لولده الامير يوسف على خمسة
آلاف من عسكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كتائبه في البسائط
وخلال المعاول تسف الزروع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنتهب
الاموال وتكنسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية حتى انتهى الى
حصن المدور وبياضة وأبدت واقتحم حصن بلمة غنوة ، وأتى على سائر الحصون
في طريقه فطمس معالمها واكنسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سبيا الى أن عرس
باستجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستنقاد أسراه
واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج في طلبهم في أمم
النصرانية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا
من الفرسان أمامها وسار يقنفها من خلفها حتى اذا أظلت رايات العدو من
ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد السيف وذكر اسم الله وراجعت
زناته بصائرهما وعزائهما وتحركت هممها وأبلى في طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كلاً ولاحتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفئش على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له في جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتيمنوا بنقيته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمة الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما آذن أذنوا عليها نصلا تى الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين (*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أوليائه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاماة هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومداراة وانحرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها في لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فأتسعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض في جمادى الاولى من

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

السنة المذكورة غازيا اشيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها واتخذ بالقتل والنهب في جهاتها وعاث في عمرانها وأوغل في مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله في جوها وخفقت ألويته على جنباتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل الى شريش فأذاقها من وبال العيث والاكساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سبيها بمئقال ونصف لكثرة السبي حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب في اختطاط مدينة بفرضة المنجاز من العدو لنزول عسكره متنبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لها مكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب في رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة



فتفتح جبل تينملل ونبش قبور بنى عبد المؤمن على يد المليونى عفا الله عنه



قد تقدم لنا أن جبل تينملل كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم قربة يتقربون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبايعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدو وقرئ كتابه على المنابر وكذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفي رسالة إلى فقهاء المغرب وصلحائه بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة فنهض عامل مراکش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن علي بن محلي أحد خوئلته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم افتحمه عنوة وافتض عذرتة وفك ختامة وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم باب الشريعة من مراکش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلي وأولاده

وعانت عساكر بنى مرين فى جبل تينملل واكتسحوا أمواله ونبشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن أحمد الملياني ، كان أبو علي هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهزوا اليه عساكرهم وأجهضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطع له بلد أغمات اكراما له ، فحضر هذه الواقعة فى جملة العسكر وارتكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغربته ورعيالجواره ولما توفى السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه فى الملياني هذا فنكبه على ما تذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلي أحد أخواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب وحاصره به فأناب الى الطاعة ونزل على الامان(*) وذلك فى منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفى ثانى يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

* وطلب من السلطان أن يبيح له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسعفه ووصاه بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنوية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد



لما فتح جبل تينملل ومحيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يختط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكانه وينزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرير ملكه، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديهما المخترق لها من جهة أعلاه وشرع في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطلت مساحتها وأسست جدرانها وجمع الأيدي عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فأختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأسست فيه وكان في أولئك المعدلين امامان شهيران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الجباك المقدمان في الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واخط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن أبي زرع : ومن سعادة طالعها أنه لا يموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا

ثم أمر رحمه الله ببناء قصبة مكناسة فشرع في بنائها وبناء جامعها في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعة أبا سالم فتح الله السدراتي وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التي كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب وفي سنة خمس وسبعين وستمائة أهدي اليه الامير محمد بن عبد القوي

(*) في الذخيرة السنية بدل ابن القطان أبو الربيع سليمان الغياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجيني صاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب
كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر
الجهاد شغل شاغل يتخطى إليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله



الجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الأولى واستنزل الخوارج وثقف
الثغور وهادى الملوك واختط المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح
سنة خمس وسبعين وستمئة الى جهة مراکش لسد ثغورها وتثقيف أطرافها
وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في العساكر
فجاس خلالها ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل
المغرب كافة بالفرير الى الجهاد فتأقلوا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون
الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تناقل الناس عليه نهض الى
رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخف في خاصته
وتقدم في حاشيته حتى انتهى الى قصر المجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل
جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر
محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ،
فوفاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسن برسم الجهاد معه
ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى
انتهى الى اشيلية فعرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك
الجلالة ابن اذفونش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء
أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية السلطان
وأظهر من أبهة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوابغ
والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الأمير يوسف في المقدمة وزحف على التعية فاقتتلوا ملياً ، ثم انهزمت الفرنج فتساقط بعضهم في الوادى وانحدر آخرون مع ضفته وتصاعد آخرون كذلك واقتحم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوه في لجة حتى صار الماء أحمر وطفئت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على سهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرموا النيران بساحة اشبيلية حتى صار الليل نهارا وباتت الفرنج على الاسوار ينفخون في القرون ويخترسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالى جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطنانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأخذ في القتل والسبي ثم ارتحل بالغانم والانتقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزيتون والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضائها وحرق ديارها وأخذ فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والتمر بيده وسرح ولده الأمير يوسف من معسكره في سرية للغارة على اشبيلية وحصون النوادي الكبير فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطبة وشلوقة وغلانة والقناطر ثم صبح اشبيلية فاكتسحها وانكفأ راجعا بالغانم والسبي الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال : « يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتهم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشبيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر » فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والخلع
 وخاطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معي الى قرطبة
 يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجه من الله تعالى
 من الثواب في ذلك »

ونهب السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين
 المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خفوفه الى
 الجهاد وبادره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة
 وسييت النساء ونفلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ثم بث
 السلطان رحمه الله سرايا والغارات في البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدي
 وأثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيول والبغال والحمير
 والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يتقرون المنازل
 وال عمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية
 السلطان في نواحيها وزعقت طبوله في فضاءها وتقدم في أبطاله وحماته حتى
 وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف ابن
 الاحمر بعساكر الاندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا من كرة العدو
 وخس الفرنج وراء الاسوار وانبت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحي
 قرطبة وقراها ، ففسفوا آثارها وخربوا عمرانها وترددوا على جهاتها
 ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على
 قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك
 ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقاسمها حظها من الخسف والدمار ، وخام
 الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجئح الى السلم وخطبه
 من السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقسة والرهبان للوساطة في ذلك
 فرفعهم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك
 اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف
 لا يصلح على رب المنزل » فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له : « ان السلطان يعقوب
 قد رد الامر اليك ونحن قد جئناك لنعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب » وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفتنس ليخلعنه لانه لم ينصر الصليب ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ الممد الطويلة فانهقد السلم فى ءاخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له السلطان يعقوب: « يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة »

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها أعطيتها للفرننج ولا يملكها ابن الاحمر » فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبى زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على ابن الاحمر غاية لانه لما بلغه وفاة أبى محمد بن اشقيلولة سما أمله اليها وأن ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لايعغى به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واغتباطا بدخولهم فى دعوته وانخراطهم فى سلك رعيته ، وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم ، وأنزل معه المسالحي وترك عنده زيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى طائفة لنظره من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وثمانائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلأت القلوب سرورا بما هياه الله من نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الأحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك



قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصحابا لابن الأحمر وأنهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء في جوازه الأول صدرت من ابن اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الأحمر وغازته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه القزو ولا عرج على الجهاد ، ولما تبصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الأحمر طيه وبعثه الى قومه انحرفا عن السلطان وموالاة للعدو ، ولما جاز السلطان يعقوب الجواز الثاني انقبض عنه ابن الأحمر ولم يلقه حتى خاطبه السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ما صنع من الظهور والعز الذي لا كفاء له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة ارتاب ابن الأحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف ففص بمكانه وأظلم الجو بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على ألسنة الكتاب في معنى العتاب ولم تزل القوارص بين السلطانين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الأحمر على ملكه يشتد وي زيد وأوامر الأخوة الإسلامية تتلاشى وتبيد الى أن استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب الفضاء ففزع ابن الأحمر الى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده بيده ونجبله بنجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاعتنم الطاغية هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالح السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين أغاثته إياهم واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل

﴿ الاستقصا - ثالث - 4 ﴾

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بعوض ففعل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاققة السلطان وافساد ثغوره وانزال العوائق المانعة له من حركته والاختذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسنوا فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها مرجعه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيث عرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلية ، فنقب أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن كانت أساطيله منازلها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وأنه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل . ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفينى ببلاد نفيس من أرض المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وإن الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء هو على ساقتهما ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان ، ولحق مسعود بجبل

سكسيوة فاعتصم به وشايح عبد الواحد السكسيوى القائم به على خلافه ، ونازله السلطان يعقوب بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاعف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز الاقوات ، وانهم ختوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرفة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتى ينزل على حكمه أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص أهل الجزيرة فعقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام من جبل طارق ، وفنى أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ جمعوا صبيانهم وختنهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض الناس على النهوض فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه الخطاب من السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن ، وقام فيه المقام المحمود ، فهيا خمسة وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا البحر أجمعون ولم يبق بسبتة الا النساء والشيوخ والصبيان ، ورأى ابن الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فندم على ممالاته اياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثنى عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عشر أسطولا
فنهض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفأ ستة وقصد
أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت الى طنجة
ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة من أبطال
نى مرين رغبوا في الجهاد .

ثم أفلعت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثمان وسبعين
وستمئة وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم
بمرفأ جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمئة فظاهر
المسلمون في دروعهم وأسبغوا من شكهم وأخلصوا لله
عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطبائهم وذكر صلحاؤهم ، والتحم
القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل ففسدت
أفروطتهم واختل مصافهم وانكسفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فاستلحهم
السيف وغشيهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها وأسروا
قائدها الملقب في جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتى فر بعد ذلك
وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكها .

ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل والاسر
داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيما بساحل
طنجة مستعدا للعبور فقوضوا أبنيتهم وأخرجوا عن البلد لحينهم وانتشر
المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت مقاتلتهم
كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ما ملأ
أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواجي .

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة وأرهب
العدو في كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى
أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن الاحمر
فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر في مدد أهل

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراکش فغضب لها وأنكر على ابنه وزوى عنه وجهه رضاه ، وأقسم أن لا يرى أسقفا منهم الا أن يراه بارضه ورجعهم الى طاعتهم مخفقي السعى كاسفى البان

ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الواثق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الاشارة اليه قبل هذا

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستنفرا للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى الى طنجة وعان ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس ونغلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى المواعدة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فليج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معتزم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها ، آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادى فى الغرور ؟ أما آن أن تشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور ؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأساً ، ولما أيسر السلطان يعقوب من أقلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ، ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادي تافنا وصمد اليه يغمراسن بجموع زناتة والعرب بحلبهم ونجعهم وشائهم ونعمهم والتقت طوابع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالملعب من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم وانتهب معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ، واكسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدي بني مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ، ووافاه هناك محمد بن عبد القوى أمير بني توجين لقيه بناحية القصبات وعاثوا جميعا في بلاده تخريبا ونها ثم أذن السلطان يعقوب لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمخيق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القوى الى مأمنه من جبل وانشرس خوفا عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ، ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب فدخل حضرة فاس في رمضان سنة ثمانين وستمائة ، ثم نهض الى مراکش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى بها بامرأة مسعود بن كانون السفيناني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدويخ أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش صريخ الطاغية على ما ذكره الان



الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغيثا للطاغية ومفتنما فرصة الجهاد

لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبنيول واسمه هراندة مع وفد من بطارقه وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه في طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستنصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فاعتزم السلطان يعقوب هذه الفرصة في الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يرج على شيء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مصمودة فعبّر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء في ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز الى الناس بالفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الالباب :
« ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنجة ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمدّه بشيء من المال ليستعين به على حربته ونفقاته ، فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : «وبقى هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للاعقاب لهذا العهد» قلت : «وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارذ بن حاجب التميمي الذي لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين في الابتذال والصون»

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها يومئذ سانحة ابن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتقل في جهاتها وبعث سراياه الى جيان فأفسدوا زروعها ثم ارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها فقفّل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها في شعبان وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها وفي هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان على ما في القرطاس . وذكر ابن خلدون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يا بني ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم فإياك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك اني كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقائهم لانى كنت أخشى معرة الجبن عنهم بعد التمرس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تحاربهم ولم تمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها ملكك وتكافىء حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس في جوازه الرابع فعقد معه السلم على ما أحب وانكفا راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية



انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الأحمر والسبب في ذلك



لما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع ملكه خشى ابن الأحمر عاديته فجنح الى موالة ابنه سانحة الخارج عليه ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطربت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا الخلاف ، ولما قفل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الأحمر وخدع عنها ابن محلي
فنهض السلطان إليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة
فغلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بعساكره
وضاق على ابن الأحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانجة شيئا وبدا له سوء
المغبة في شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها
ولم ير لها إلا الأمير يوسف ابن السلطان يعقوب فخاطبه بمكانه من المغرب
مستصرخا له لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على
عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه وعبر البحر إلى الأندلس في صفر
سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمعسكره على مالقة ورغب منه
السلم لابن الأحمر في شأنها والتجافى له عنها فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل في
ذلك من رضى الله عز وجل في جهاد عدوه وإعلاء كلمته ، وانعقد السلم
وانبسط أمل ابن الأحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان
يعقوب إلى الجزيرة الخضراء فبث سرايا في دار الحرب فأوغلو وأئخذوا ثم
استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني
من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى إلى قرطبة فأئخذ وغنم وخرب
العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محله على بياسة
بالمغانم والاتقال وترك معها خمسة آلاف فارس يحمونها من كرة العدو ثم
أغذ السير في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى إلى البرت من نواحي طليطلة
فسرح الخيل في البسائط وجالت في أكنافها ولم تنته إلى طليطلة لتثاقل الناس
بكثرة الغنائم وأئخذ في القتل وقفل على غير طريقه فأئخذ وخرب
وانتهى إلى أبدة فوقف بساحتها وقتلها ساعة من نهار فرماه عليج من خلف السور
بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها إلى معسكره بياسة فأراح بها ثلاثا ينسف
آثارها ويقتلع أشجارها وقفل إلى الجزيرة وبين يديه من السبي والغنائم ما
يعجز عنه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم
ونقل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن
يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان مندبل فأراح
بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك
عيده ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي
سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم الغز
بنت محمد بن حازم العلوي وهي أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح
فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراكش فدخلها فاتح ثلاث
وثمانين وستمئة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع
النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحركت همته الى الجهاد ثم سرح
ابنه الامير يوسف ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين
بها وكف عاديتهن ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه
واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر
العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتقال والده
السلطان يعقوب فوصل الى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد
شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفي هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى
قصة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي
الحسن علي بن الحاج والله تعالى أعلم



الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الأندلس عرض جنوده وحاشيته
وأزاح عنهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى
الآخرة لثلاث وثمانين وستمئة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى
به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع في اجازة العساكر
والحشود من المرتزقة والمنطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر
من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث سرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصّة الغزى صاحب سبّة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفار من بقى من أهل العدو .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران عيونا فوافوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب العاصم والخلط والاثيج وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأتخذوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أتخذوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكرا من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فأكسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ابنى معرف على ألف من الفرسان وسرحه لغزو اشيلية فساروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فخرّب عمرانها وقطع أشجارها وامتلات ايدي عسكره سبيا واموالا ورجع الى مجلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قدمنا مملو الحقائق .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات من المساحي والفؤس ، وأمدّه بالرجل من المضامدة وغزاة سبته فافتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وألصقوا خده بالتراب وتسفوا آثاره نسفاً ، ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن مرتقوط قريبا من معسكره فخر به وخرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الاهل ، ولعشرين من شهره المذكور وصل ولي عهذه الامير يوسف من العدو المغربية بتغير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم ويزور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المضامدة وثمانية آلاف من برايرة المغرب كلهم متطوع بالجهناد فعقد السلطان لولي العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزو اشيلية والاثخان في نواحيها فبا كتابه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأتخوها وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكسحوا الاموال وعاج ولي العهد على الشرف والغابة من بسيط اشيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أبو زيان متديك ابن السلطان يعقوب من المغرب في جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كثيرهم يوسف ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمدّه بمعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وضدقهم القتال فأنكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشيلية فأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلأت أيدي عساكره وقفل الى معسكر السلطان على شريش ، وثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثاني عقد السلطان لوفى العهد الامير يوسف مازلة جزيرة كسور
فصعد اليها وقتلها وافرحمها غنوة ، وفي ثنى جمادى الاولى عقد السلطان
لدجاج ابي الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخنه اخاه عمر
في شان مائة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقصى فرسه ورجع ومسر
في طريقه بونس فنتهمه الدعي ابن ابي عمارة كان بها يومئذ فاعقله سنة
اثنين وثلاثين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع
السلطان يعقوب فمقد له في هذا اليوم على مائتين من الخرسان وسرحه الى
اشيلية ليكون ربيعة للمعسكر وبعث معه لذلك عيون من اليهود والنعاهدين
من النصارى يعرفون له اخبار الطاغية سانجة ، والسلطان يعقوب رحمه الله
اثناء هذا كنه بغادى شريش وبراوحها بالقتل والتخريب ونسف الانبار
وبت السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر او اغزاء
جيش او عقد راية او بعث سرية حتى انتسف العمران في جميع بلاد
التصراية وخرب بسائط اشيلية وليلة وقرمونة واسجة وجمال الشرف
وجميع بسائط انقرة تيرة

وأبلى في هذه الغزوات عياد بن ابي عياد العاصمي من شيوخ جنم
والخضر الغزي من أمراء الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت
وكذلك غزاة سبعة وكذا سائر المجاهدين من عرب جنم وغيرهم مثل مهلهل
ابن يحيى الخلطي صهر السلطان ويوسف بن فيطون الجابري وغير هؤلاء
ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تدميرا وأوسعها تخريبا ونسفها نسفا واكسحها غارة ونهبها
وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن المعسكر اعتزم السلطان على القفول
وافرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها
نحو من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله
باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فاوعز السلطان الى جميع سواحله
من سبنة وظنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والشك والجزيرة وخریف
بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة في عدتها

فأججت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بخوزيرت غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمائة ونزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازائها فبرزت أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلعبوا بمرأى منه في البحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعلهم ساعة الحرب فسر بذلك وأحسن اليهم وصرفهم الى حال سيئهم



وفادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحواز الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك



قال ابن خلدون رحمه الله : لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكساح أموالهم وسبي نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلمهم واتساف عمرانهم زادت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانية خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة أو تحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهزيمة لديه وأوفد على أمير المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وفدا من بطارقتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعترازا عليهم ، ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسغفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغتتهم اليه وذلمهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما قبلوه من مسألة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين

بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم
 فى فتنة ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجمان وبعثه
 لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سنانجة وهوباشيلية
 فعقد معه الصلح واستبلغ وأكد فى الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن
 الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير
 المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأخضروهم الطاغية بمشهد عبد الحق
 وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم :
 « انما أنتم عبيد آبائي فلستم معي فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين
 على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسى فكيف عنكم » فانصرفوا
 ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتتمكن
 الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى سل السخيمة وتسكين الحفيظة
 فمال الى موافقته وسأله لقي الأمير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن
 قلبه فوصل اليه ولقى عليه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك
 ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء
 الطاغية وقومه واطهار شعائر الاسلام وأبتهه وأن لا يلبسوا الا البياض ،
 فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية
 وقدم الطاغية فى جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير بحصن
 الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الأحد العشرين من شعبان
 سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقى أمير المسلمين بأحسن مبرة
 وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من
 طرف بلاده أتحتف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول
 الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرף
 فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافاة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية
 سائر الشروط ورضى بغز الاسلام عليه وانقلب الى قومه بملء صدره من
 الرضى والمسرة وسأل منه السلطان أن يعث اليه بكتب العلم التى بأيدي
 النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الاصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتحسيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة لليتين بقيتا من شعبان ففضى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم ففى ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز المزورى الاصل المكناسى الدار ويعرف بعزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته وإمتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وأنشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولمنشدتها بمائتى دينار ، ثم أعمل السلطان نظره فى الثغور فرتب بها المسالح وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا ليقف على الحد بين أرضه وأرض ابن الاحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مألقة وأوصاه أن لا يحدث فى بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياذ بن أبى عياد العاصمى على منسلحة أخرى وأنزله بأسطونة وأجاز ابنه الامير يوسف الى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره ان يبنى على قبر والده ابى الملوك عبد الحق بتافراطت زاوية فاخطت هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الامير عبد الحق ادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا رحم الله الجميع بمنه



وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

وفي آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمئة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذي توفي منه فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى ان توفي بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمئة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس الاعلام رحمه الله

❦

بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته

❦

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل اللحية معتدلاً أشيب نقى البياض حلماً متواضعاً جواداً مظفراً منصوراً الراية ميمون النقية لم يقصد جيشاً الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلداً الا فتحه صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر لا تزال سبخته فى يده مقرباً للعلماء مكرماً للصلحاء صادراً فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المستشفيات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والتفقات من بيت المال وكذا فعل بالجنمى والعمى والفقراء رتب لهم مالا معلوماً يقبضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى



لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخبر الى ولي عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو بأحواز فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمئة وأخذوها له على الكافية فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلمهم فيها الى أماتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب الا ما كان منها في الاقطار الخالية والمفازات المخوفة فخضعت مريـن تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ، وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مريـلة في العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقاه السلطان مبرة وتكراما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكه أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وفد الطاغية سانحة مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لآخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبي الحسن على بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأغنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بنى مريـن والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حاضرة فاس فدخلها ثانی عشر جمادی الاولى منها ولحين استقراره بها خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق فی بنیه و اخوته ومن انضم اليه ولحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فسرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبدا له فی النزوع اليهم فلحق بهم وشايهم على رأيهم من الخلاف فاغزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب ثم تلمظ في استئزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجيء بهم في الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها في رجب من السنة ورهب الاعياص من بني عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بغرناطة ملتفين على بني ادريس منهم ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة الى مراکش لتمهيد نواحيها وتنقيف أطرافها فدخلها في شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراکش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم في اثني عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأتخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراکش وسجلماسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراکش فنكب محمد بن علي بن محلي عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلي بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك في السجن في صفر الموالي له ، وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاء حلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم فصركتامة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابنته وأخته وقاموا معه في اثبات قواعد ملكة ثم انحرفوا عنه الى موالاة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبي الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مائة وكان عمه أبو اسحق بن أبي الحسن صاحب وادى آش وأعمالها وتصل ذلك في بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فغضب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش اتى به بنى اشقيلولة المنسكين بدعوتهم كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجابه السلطان الى ذلك وكتب الى أبي الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلي عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فثقيبه بمدينة سلا فأعطاه السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فتم نزل ولابنه منوارثة في بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم



حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان

صاحب تلمسان



قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لا يحدث مع بنى مرين حربا ولا يوافقهم في زحفه من استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الأقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السهم ورجع الى أخيه كما تقدم ولا ولي السلطان يوسف وفقل من مراكنش الى فاس في هذه امرة بعد أن ترك ابنه أبا عمر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراكنش نار أبو عمر المذكور بها وخلع صاعه أبيه ودعا الى نفسه وشايعه ابن عطسوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراكنش وبرز اليه ابنه أبو عامر فافتنوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراكنش واكسح بيت المال بها وفر الى تنمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدمها سنة ثمان وثمانين وستمائة فأواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبسوا عنده مليا

ثم عطف السلطان على ابنه الرحيم فرضى عنه وأعادته الى مكانه وظالسب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم في النفاق مع ابنه قابسى من اضاغة جواره واخفاء ذمته وأغلق له انرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فارت من السلطان يوسف الحفاظ الكامنة وتحركت منه الاحسن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تنمسان ونهض اليها من مراكنش في صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الآخر من سنة في عساكره وجنوده وحشد اقبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولا امتنع عليه أفرج عنها وانكفا راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يزناس ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد انجهااد على ما نذكره

انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه



لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتازا أن الطاغية سانجة قد انتقض ونبد العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالح بالاندلس على بن يوسف بن يزكان بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمئة وجاس خلالها وتوغل في أنظارها وأبلغ في النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعمارتها لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو وبحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فحامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا في أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشيلية ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمئة ، فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر واستيلاء الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الأحمر له عليها



لما قفل السلطان يوسف من الأندلس وقد أبلغ في نكاية العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته فشرع في أعمال الحيلة فسي الأفساد بينه وبين ابن الأحمر ، وكان ابن الأحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلص مع الطاغية نجيا وتفاوضا في أمر السلطان يوسف وإن تمكنه من الإجازة اليهم إنما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام تغور المسلمين حفافيه وتصرف شوانيهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الاساطيل الجهادية وإن أم تلك التغور هي طريف وأنهم إذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رصدًا لاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مريم وتكفل له ابن الأحمر بمظاهرة على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له أن خلصت للطاغية ، وتعاهدوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الأحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الأقوات ، وبعث عسكرا لمنازلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد ، فصالحهم واستزلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الأحمر الى تجافى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى بحصن تازوطا

اعلم أن بنى وطاس فخذ من بنى مرين لكنهم ليسوا من بنى عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبنى الوزير منهم ، وبنو الوزير يزعمون أن نسبهم دخل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتونى لحقوا بالبادية ونزلوا على بنى وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبنى وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لتجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الأمير ابوبكر بن عبد الحق على مكناسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المامون الموحدى من مراكش لغزوه فرأى أمامه إلى حصن تازوطا هذا ونزل به على بنى الوزير هؤلاء لاجئا اليهم ومستجيرا بهم فأرادوا الفتك به غيرة منه وحسدا له فشرع بهم وتحول عنهم إلى عين الصفا من بلاد بنى يزناسن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقرض أمر بنى عبد المومن واستقام ملك المغرب لبنى مرين صرفوا عنايتهم إلى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يتقون بغناؤه واضطلاعه ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط من بنى وطاس لما يعلمون من سموهم إلى الرياسة وتطلعهم إليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيسين على بنى وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا أنفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

فى شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفتك بحاشيته ورجاله وأزعجه
عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للبروم
كانت مخترنة هنالك وضبط الحصن وشحنه بـرجاله ووجوه قومه ولحق منصور
بن عبد الواحد بعمه السلطان يوسف فهلك لليال أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا على عمر بن السعود بن
خرباش الحشمى بالحاء المهمة فى العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه
بكلـكـله ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفى صحبته عامر بن يحيى بن
الوزير أخو عمر الثائر ، فانه كان قد نزع اليه فأحاط السلطان بالحصن وضيق
عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن انه قد أحيط
به فـدس الى أخيه عامر فى كشف ما نزل به ، فضمن عامر للسلطان يوسف
نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف
فى ذلك فصعد اليه وتفاوضا فى أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة
وفر ليلا الى تلمسان وبدا لعامر فى النزول عند ما صار فى الحصن فامتنع به
قيل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بثار ابن أخيه منصور
ولافلاته أخاه من يده .

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم
الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغبا فى الصلح
مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسى أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان
وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسى وهو فى الحصن
فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجهتهم لديه فشفع له
الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته الى
الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته
الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من
الحصن وخاض الفلاة الى تلمسان فتبعته الخيل أثره فقاتهم وأدركوا ولده
أبا الخيل فجيء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وحب
هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلجموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم ، وتلبسك
السلطان يوسف حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرة
بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنين وتسعين وستمائة

ولما كان السلطان نازلا على تازوطا قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية
جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطياف تصوت بحركات هندسية مثل
ما صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد
الامير أبى بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقده عليهم لذلك
وأحسوا بالشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى أن بعث السلطان يوسف
اليهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصيرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير
أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلجمهم اجمعين وهو يرى انه قد
ارضى اياه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف
فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريدا ببلاد الريف وجبال
غمارة الى أن هلك بنى سعيد منهم آخر سنة ثمان
وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التى داخل باب الفتوح
وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى
أن هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسيأتي ذكرهما ان
شاء الله



انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة



لما استولى الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها ونقض
الطاغية عهد ابن الاحمر فى النزول له عنها سقط فى يد ابن الاحمر وندم
على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فاوفد عليه ابن عمه الرئيس
أبا سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز الداني فى وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقرير المذرة عن شأن طريف ، فوافوه
بمكانه من حصار تازوطا كما قدما فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا
الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة
واتصال اليد ، فوقع ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع
الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف
والرغبة اليه فى نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيأ لذلك
وعبر البحر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل
بيونش من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقية بها الاميران أبو عامر عبد
الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال
يومئذ من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدومه خرج من فاس للقاءه وبرور مقدمه
فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدي نجواه هدية اتحف بها السلطان
يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذى يقال انه مصحف
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة
ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف فى هذه المرة ، فقبل
السلطان ذلك وكافاه بأضعافه وبالغ فى تكريمه واسعفه بجميع مطالبه واراد
ابن الاحمر أن يسطر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن
سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل *
لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس
كانت قبل فى ملكته وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة
اثنتين وتسعين وستمائة مجبوا مجبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف
لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها لوزيره الشهير الذكر عمر بن
السعود بن خرباش الحشمى فنازلها مدة فامتنت عليه وأفرج عنها
وفى سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

* فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل عن هذه الثغور هو ابن
الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلفت به اثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فطرا
وعدد كؤسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاب ، وأنفق السلطان فى بناء
الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبا .

وفى سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف أغزو تلمسان فوصل
الى تاوريرت وكانت تخما لعمل بنى مريم وبنى عبد الواد ، فنصفها للسلطان
يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عمل من ناحيته
فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع فى بناء الحصن الذى هنالك
فادار سوره وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بنائه
بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لا يغيب عن العمنة الا فى اوقات انضرورة ،
وفرغ من بنائه وتحصينه فى رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه
بالعسكر واسلح وعقد عليه لآخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفا
راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد
تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشد فى قتالها ورماتها
بالتجقيق اربعين يوما فامتنعت عليه فأفرج عنها تانى عيد الفطر من السنة
المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبسرس
عثمان بن يغمراسن لدافعه فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف
حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقنع عنها ورجع الى المغرب
فقضى نيك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ،
وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكناسة
فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها فى جمادى الاولى من
السنة المذكورة غازيا تلمسان ومر فى طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان
أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف فى هذه المرة
وحصن اسوارها وبنى بها قصبة ودارا لسكنه وحماما ومسجدا ثم سار الى
تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بانقمر ونصب
عنها القوس البعيدة التزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها
المهندسون والنصاع وتقربوا الى اسلطان بعملها فأعجبه وكانت تحمل على

أحد عشر بغلا ولما امتنعت تلمسان عليه أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين
وستمائة ومر في عوده الى المغرب بوجدة فأنزله بها انخمية من بني عسكر
ابن محمد لنظر أخيه الامير أبي بكر بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأمرهم
بشن الغارات على أعمال تلمسان مع الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير
أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم



فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينمل أن أبا علي الملياني كان قد
سعى في نبش قبور بني عبد المومن والتفت باثلاثهم وأن الناس قد عاضهم
ذلك لاسيما المصامدة منهم ، ولما هنك السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف
استمع ابا علي الملياني على جاية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ
المصامدة عند السلطان بأنه احتجج المال نفسه ، فأمر السلطان بمحاسبته
فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فكتبه السلطان يوسف أولا ثم قتله
تانيا ، واصطنع ابن أخيه أبا العباس(*) أحمد بن علي الملياني واستعمله في
كتابه وأقامه بابه في جملة كتبه ، وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض
شيوخ المصامدة منهم علي بن محمد كبير هتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير
قدموة وأوعز الى ابنه الامير علي بن يوسف بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما
فيمن بهما من الولد والحشية ، وأحسن بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل
النار الذي كان يعتده عليهم في عمه أبي علي

وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة الى كتاب الدولة لم تختص
بواحد منهم لما كانوا كلهم نقات أمناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط
فكتب احمد بن الملياني الى الامير ابي علي كتابا على لسان والده يأمره فيه
أمرا جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة

التي تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأني حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجمت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتعام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شغناء على الايام وعارا في الاقاليم عسلى حملة الاقلام » اه ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتاني وولده وعبد الكريم بن عيسى القديوى وبنوه الثلاثة عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الامير على بالاعلام السى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتل الامر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقهاء الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين وكان من الكفاة المضطلعين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن الملياني فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى الاندلس فبقى هنالك الى أن توفي بخرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

العز ما ضربت عليه قبابى	والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما أهداه غصن يراعتى	وللمسك ما أبداه نقس كتابى
فالمجد يمنع أن يزاحم موردي	والعزم يأبى أن يقام جنابى
فاذا بلوت صنعة جازيتها	بجميل شكرى او جزيل ثوابى
واذا عقدت مودة اجريتها	مجرى طعامى من دمي وشرابى
واذا طلبت من الفراقد والسهى	نارا فأوشك أن أنال طلابى

الحصار الطويل وما تدخل ذلك من الاحداث على تلمسان

تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر الى نظر أخيه الامير أبى بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بنى زيان فامثل الامير أبو بكر أمره والى على النواحي بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبى بكر يسألونه الامان لهم ولبن وراهم من قومهم على أن يمكنهم من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البلدين على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم فقبلها ، ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، فنهض لخيته من فاس فى رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عنهم ، وسار فى التعية حتى نزل بساحة تلمسان ثمانى شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكللكه وربض قبالتها على ترائبه وأنزل محله بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها فى وسطه ، ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف الى تلمسان يرفق أو يتسلل اليها بقوت وأخذ بمخنفها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

سنة اثنتين وسبعمئة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه قصرًا
 لسكناه واتخذ به مسجدًا لصلاته وأدار عليهما سورًا يحرزهما ، ثم أمر
 الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحية والقصور الانيقة
 واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق
 والمارستان ، وابتنى مسجدًا جامعًا أقامه على الصهرريج الكبير وشيد له منارًا
 رفيعًا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمائة دينار ثم أدار
 السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها
 ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من
 أعظم أمصار المغرب وأحفظها الى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك السلطان
 يوسف وارتحال جيوشه عنها ، ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان
 سرح كتائبه وسراياه في أعمالها وحصونها فاستولى في مدة قريبة على ندرومة
 وهنين ووهران وتلموت وتامزردكت ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك
 والبطحاء ومازونة ووانشريس ومليانة والقصبات ولمدية وتافرجينت ، وجميع
 بلاد بني عبد الواد وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة وبايعه ابن علان صاحب
 الجزائر وأخذ رعه بملوك النواحي ، وكانت دولة بني أبي حفص يومئذ قد
 انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر بجاية فتنافس صاحب
 تونس وصاحب بجاية في مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا
 والتحف وصار السلطان يوسف في ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة
 والاطلاق والله غالب على أمره



نكبة بني وقاصة من يهود فاس

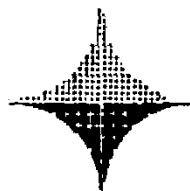


كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان
 يوسف من صغره الى كبره ، وكانوا يتولون قهرمة داره ويقضون أموره
 الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره ، قد التحموا به التحامًا

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه فى خلواته وينادمونه فى أنسه ، فعظم
جاههم عند الحاشية لأقبال السلطان عليهم واستتبوا الوزراء فمن دونهم من
رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاص
وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم
واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة
والفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته فى شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك
القائم بأمور دولته أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ، فسعى عنده فيهم
وأوجده السيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرا واعتقلوا فى شعبان من سنة
احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه
ابراهيم وموسى بن السبتي وأخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأتت النكبة
على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم
خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره ، وعبث بسائرهم
وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله
سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفى عثمان بن يغمراسن فى الحصار
عقب شربة لبن يقال أنه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تفاديا من معرة
غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان
 واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت
وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من
بعده

هو الاستقانات 6



انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة

كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندى ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكرة من حصار تلمسان فتلقاها بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المعودين منازل الحصون والمناغرة بالرباط فأسغفوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فاتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية وممالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانجة من بنى اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة فى اعمال الحيلة فى الغدر بأهل سبتة ففعل ، ودأخل فى ذلك بعض عمال بنى العزفى بها فأمكنه من البلد فاقتحمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بنى العزفى وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فتلقاها ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم فى جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يغن شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة



كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس في صحبة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبتة ثم ثار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقي متنقلا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش وانتهى الى قصر كتامة وخب في الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبي الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء كما سيأتي ان شاء الله .

وفي سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخاطب صاحب الديار المصرية لعهدده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من ممالك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العرب والمطايا الفارهة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما اعتنى به واستكتبه وجعل له غشاء مكللا بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السيلل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخمة فعقد السلطان يوسف على دلالتهم لابی زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفي شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد ليبة بن أبي نمى نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبي نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف في اكرامه والتنويه بقدره وسرحه الى المغرب ليجول في أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالنقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظمهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا للبوسه في الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة في جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهتز لقدمهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة في مرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبي ثابت فاحسن منقلبهم وملاً حقائبهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم في ذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقتل فانهبواهم وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا



وفاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ في جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبي على الملياني أيام كان عاملا له على مراکش وكان السلطان يوسف في ابتداء أمره يخلط الخصيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمه وعياله ثم حدثت للسلطان ريبة في بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم غنبر الكبير عريفهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخيثة نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض حجر قصره فاستاذن عليه فأذن له فالقاه مستلقيا على فراشه مختضا بحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في أثره فأدركه من العشي بناحية تاسلة فقبض عليه وجيء به الى القصر فقتلته العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعمائة (*) وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن وقومهم من بني عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما

* وزعم التونسي ان رجلا ممن يشار لهم بالصلاح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورغب منه ان يرفع الحصار عن بني زيان فرفض الساطان طالبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفاً من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقر ستين مثقالاً ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفاً وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى مئة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجى بمثقال ونصف والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والحية بمثل ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة ستة دراهم والعصافير كذلك والاقوية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن الثفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القناء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعترزوا على اللقاء باليد والخروج للاستماتة فهياً الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخفهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصى المريب وأذهب الله الغناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما تشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة في سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغراباً لها (*)

قال ابن خلدون : حدثني شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى قال: جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الأربعاء سابع ذي القعدة في زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن ججاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المحقومة فقال له : انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكمات ذلك وبينما هم يتذاكرون فى ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجم وجلسوا سكوتا لا ينطقون وإذا بعدهم فهرماتة القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبى

* ذكر صاحب بنية الرواة أنه بلغ في هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلاً وجوعاً زهاء مائة الف وعشرين الفا ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيتهم وقالت لهم : « تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : » ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الا فواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبي وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم » فالتفت أبو حموا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان فقال : « قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن » فقال : « ياموسى أرجئى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما شاء » فغضب أبو حموا وانكر عليه التأخير فى ذلك وقال : « انما نحن والله تربيص المعرة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مغضا وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء قال ابن جحاف : « وأنا بمكانى بين يديه لأملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راغنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مرين وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف : « فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة » وانتبه السلطان من همسنا فزعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال : « ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم » فاستبشر السلطان أبو زيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات فى الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لا هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخولسة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصو صبا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفزعا له ان أخفق مسعاه على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين وافرج عنهم ، فعاقدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره



بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته

كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أقنى
الانف مهيا لا يكاد أحد يدهأه بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقدا لاحوالها
شجاعا شهما ذا عزيمة .

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
وهو أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك
وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل اليه الا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه
الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ، ومن أعيان شعرائه أبو
الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي
وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث (ففى سنة ست وخمسين
وستمائة) وهى السنة التى بويغ فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان
الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم
والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطنى
فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم
والزبيب درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم
والشابل الطرى فردة بقيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا
وفى سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء
ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة
وقت السحر نحوا من عشرين يوما

وفى سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن
قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جد
الاشراف العلويين السجلماسين ملوك المغرب الاقصى فى عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخلد مجدهم وفخرهم ، وعند الكلام على دولتهم السعيدة
نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله
وفى سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر
ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفى حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن
السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماصة فى هذه المدة والله تعالى
أعلم

وفى سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ،
وفى سنة تسع وسبعين وستمائة علقت به ثرياه وذلك يوم السبت السابع
والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر
رطلا وعدد كوؤسها مائتا كأس بالثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد
العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ
القمح عشرة دراهم للصاع

وفى سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادى النجاة وقنطرة ماريـج
وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس
قطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذى
توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بنى على بن عسكر
وهى أم السلطان يوسف فغاث الله العباد وأحیی برحمته البلاد

وفى سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبـت
الناعورة الكبرى على وادى فاس شرع فى عملها فى رجب من السنة
المذكورة ودارت فى صفر من السنة بعدها

وفى سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه
وفيها غرس بستان المصاراة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا
وفى سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الرياح الشرقية المتوالية الهبوب
ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله
بلادهم وعباده وفيها توفى الشيخ الصالح أبو يعقوب الاشقر بالكندرتين من

بلاد بنى بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذى تنسب اليه
الحمة التى قدمنا الكلام عليها فى أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها
بنى المسجد الجامع بمدينة تازا وبنى قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفى سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له (*) وصيره عيدا من الاعياد
فى جميع بلاده وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر
به قد صدر عنه وهو بصرة من بلاد الريف فى آخر صفر من السنة فوصل
برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر . واعلم أنه قد
كان سبق السلطان يوسف الى هذه المنقبة المولدية بنو العزفى أصحاب سبتة
فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قـرب
زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها
نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب
أبو عبد الله بن أبى الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بإزائه
فوعظ الناس وذكرهم وفى هذه السنة رفعت أيدي الموثقين من الشهادة بفاس*
ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلا من أهل العدالة والمعرفة وكانوا
قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادى عشر من شوال من
السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد
المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغسل
وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان
يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالمشرق فإسأل من أحدثه الملك المظفر صاحب اربل فى
اواخر المائة السادسة انظر ترجمته فى حرف الكاف من وفيات الاعيان .

* وذكر فى الفائق ان السلطان ابا عنان المرينى الاتى امر بالاختصار على عشرة
من الشهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبى فارس عبد العزيز الملووزى الشاعر المشهور .
 ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة فيها صلح أمر الناس وانجبرت
 أحوالهم ورخصت الاسعار فى جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما
 للصحفة وفى هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلى بحيث غاب
 قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التى تكون ما بين العشاءين
 وظهرت النجوم وماج الناس وضاعت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم
 بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن
 والعشرين من ذى الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة
 وفى سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة
 بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبما مر الخبر على ذلك
 مستوفى وبالله تعالى التوفيق



الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

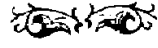


قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد اتبذ عن
 أبيه وبقي متنقلا فى جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك فى بلاد بنى
 سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا
 الذى ولى الامر بعد جده ، وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله
 بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا فى جملة وكان له فى بنى
 ورتاجن من أهل تلك البلاد خولة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه
 فى أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس
 ثانى يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايعهم بداخل
 المنصورة الى بيعة الامير أبى سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين
 يفسد وكلمتهم تتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحيته وكان شهما مقداما الى

صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن فعقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أمله ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبو حمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالأصلاح وان من أراد الإقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألفوها وطاب مقامهم بها وتائلوا بها الاثاث والمتاع والخرثي وسائر الماعون مما يثبت المرتحل ويثقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكتب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التي كانت متفرقة في الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فأقبلوا اليه ينسلون من كل حذب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن يعقوب في آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر بقيّة القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان بن أبي العلاء النائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما نذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس في جموع لا تحصى وأمم لا تستقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة في طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة ثم نهض بعد ذلك الى مراكش على ما نذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا ثابت قد أبعد عنهم وأنه توغل في البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عليها سافلها وطمسوا معالمها ومحووا آثارها فأصبحت كأن لم تغن بالأمس

ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره



كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثه نفسه بالانتزاع فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبي ثابت وهو بفاس فسرّح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهملة ويعقوب بن آصناك فى خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبي عياد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصيحي من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبي عياد فى انتزائه فاستلحموا جميعا ، ولما لحق ابن أبي عياد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبي عياد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أئخذ أبو ثابت

فى كل من كان على رأى ابن أبى عياد وخاض معه فى الفتنة فاستلحم منهم
 بمراكش ما ينيف على الستمائة و صلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب
 مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل فى اغمات منهم مثل ذلك وخرج
 منتصف شعبان الى منازل السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت
 وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ،
 ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة
 يرسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم
 ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكفأ
 السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع
 وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصفه قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة
 وعبر وادى أم الربيع من مشرع كنامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم
 ارتحل فاجتاز بلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى
 جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنوه فى الرجوع
 فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضرُوا عنده فقبض على ستين
 منهم أودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل
 و صلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين
 من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين
 بالحرابة وقطع الطريق و صلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف
 شوال لغزو عرب رياح الوطنين بأبى طويل وفحص آزغار وبلاد الهبط ،
 فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم وانتهب أموالهم
 ونهض الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض
 الى سبتة على ما نذكره .



غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارقة وسبته ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الأحمر المتغلب على سبته أيام السلطان يوسف وأنه ثار بجبال غمارقة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه خبره وأهمه شأنه إلا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض إليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الأمر إلى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد يمراكش كما قدمناه فعقد على حزب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف إليه ونهض عثمان بن أبي العلاء إلى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك في تلك الواقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبي العلاء إلى قصر كتامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطلا من الأبطال وعلى أثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومجى أثر النفاق فاعتزم على النهوض إلى بلاد غمارقة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبته من يد ابن الأحمر المتغلب عليها لأنها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله

فنهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى إلى قصر كتامة فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والزماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارقة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه إلى ناحية سبته فسار السلطان أبو ثابت فسي اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية وانتهب الأموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه إلى القصر في وسط

بلادهم وبالفوا في تضييفه واکرامه ودخلوا معه القصر وآصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلها ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمائة وتحصن ابن أبي العلاء بسبته مع أوليائه من ابن الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره ففرقت في نواحي سبته بالغارات واكساح الاموال



بناء مدينة تطاوين



ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره والاخذ بمحقق سبته هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هي تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبما يأتي الخبر عن ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها في لسان البربر العين ووين وهي كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب في تسميتها بذلك أنهم في وقت اختطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أي يافلان افتح عينك لان عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقلة ومعنى مجموع الكلمتين مقلّة العين والاضافة مقلوبة كما هي في لسان بعض الامم العجمية فانه لامستد له والله تعالى أعلم ولما شرع السلطان أبو ثابت في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبته في شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفي(*) يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فوورى هنالك رحمة الله عليه وعليهم



الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر

عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهى أمه ، وعلى هذا هو الذى قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن المليانى كما تقدم وخلص الملا من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أبى الربيع المذكور أخى أبى ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه على بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقى مسجوناً بها الى أن هلك سنة عشر وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء فى الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الامر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبى العلاء من سبتة فى جيش كثيف ليضرب فى محله لئلا فذر به عسكر السلطان أبى الربيع فأسهروا ليلتهم وباتوا على صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك ففاجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبى الربيع الظهور الذى لا كفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الاحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبى العلاء ذلك سقط فى يده وأيس من المغرب فعبس

(*) ذكر فى روضة السريرين فى دولتنا بنى مرين لابن الاحمر أنه توفي مسموماً

البحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في
 جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها في
 رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه
 ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا في أمره الى المصانعة والمجاملة في
 أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفي ، لكنا نذكر من ذلك انموذجا يستدل
 به الواقف عليه على ما وراءه ، فنقول : « لما توفي عثمان بن أبي العلاء رحمه
 الله كتب على قبره ما صورته : « هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال
 والكمأة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار
 الاسلام ، صاحب الكتاب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة
 وامام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم
 الاعداء وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى
 البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل
 الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله
 ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقها ما بين راحة في سبيل الله وغدوة حتى
 استوفى في المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا
 مجتهدا في طاعة الرب محتسبا في ادارة الحرب ماضى العزائم في جهاد
 الكفار، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع
 الكبار ما سار ذكره في الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه
 الله وغبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على
 ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى
 وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد
 وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الراجعة فارتجت الاندلس لبعده
 أتخفه الله برحمة من عنده توفي يوم الاحد الثاني لذي الحجة من سنة
 ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتيا ثمرة ملكه ، وكان فى أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفأس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس فى البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلوى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى



نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك



كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شبيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مدين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه فى حساب الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسره ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبى مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبى محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة هذا بداره فى بعض المهن فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبى محمد بن أبى مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع أنه يختلى مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان « بأن ابن أبى مدين يعرض باتهامك فى ابنته وأن صدره قد وغر لذلك وأنه مترصد بالدولة ومتربص بها الدوائر » فتمكنت سعايته من السلطان وظن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبى مدين بما كان له من الوجاهة فى الدولة ومداخلة القليل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى فرصده وأتاه من خلفه قطعنه طعنة كبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان أبى الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودى وأطلع على خبئه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبى مدين معه الى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه الندم ، وفك لحينه بخليفة بن وقاص وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثالا للآخرين



انتقاض أهل سبته على بنى الأحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين



كان أهل سبته قد سثموا ملكة أهل الاندلس وثقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبى العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبى الربيع فاتتهز الفرصة فيهم وعقد لثقته تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبته فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وثاروا على من كان بسبته من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائة وتقبض على قائد القصة أبى زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبى الحسن بن كماشة وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو . بن عبد الله بن عبد الحق ، وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبى الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل ذلك بابن الاحمر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجنح الى السلم مع السلطان أبى الربيع لشدة شوكته ولقلب الطاغية عليه فى أرضه لولا أن غزا بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد أخو المخلوع الذى كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبى الربيع راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبى الربيع فى الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ، وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقتة عثمان بن عيسى اليرينانى أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع رحمه الله



انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى على السلطان أبى الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك



لما انعقد الصلح بين السلطان أبى الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لاتزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين فى اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان السلطان أبو الربيع قد عزل قاضى فاس أبا غالب المغيلسى وولى القضاء مكانه

الشيخ الفقيه أبا الحسن الزردي المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسبق إليه ذات يوم هذا الاندلسي وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضي حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم الاندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ويقال له رحو باللسان الزناني فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالانتم ولعله كان في قلبه شيء على القاضي فأمر وزعه بإحضاره على أسوأ الحالات وعزم على البطش به فبادروا إليه ، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ونادى في المسلمين فارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الأمر وأحضر أصحاب الوزير فضرب أعناقهم وشردهم من خلفهم جزاء الله خيرا ، فأسرها الوزير في نفسه وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد وكان من شيوخ بني مرين وأهل الشورى فيهم ، وداخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة الجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان ، فدعاهم لخلع طاعة السلطان أبي الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الأعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ، ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة فر الوزير المذكور وقائده الفرنجي ومن شايعهم على رأيهم فخرجوا إلى ظاهر البلد الجديدة وجأهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو ، ثم ساروا إلى ناحية تازا ولما استقروا برباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بني مرين والعرب يدعونهم إلى بيعة سلطانهم والمشايعة لهم على رأيهم وأوفدوا على أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه إلى المظاهرة على أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم يقدم ولم يحجم وبقي ينتظر عما إذا ينجلي أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

بالسلطان أبى الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمى وعمر بن موسى الفودودى فى جيش كثيف من بنى مريـن ، وسار هو فى ساقـتهم واتصل خبر خروجه بعبد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا ولحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لا يخرج اليهم وحمد أبو حمـو عاقبة توقفه عن نصرهم ويأسوا هم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ورجع الحسن بن على ومن معه الى السلطان أبى الربيع بعد أن أخذ منه الامان وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ، ولما احتل السلطان أبو الربيع تازا حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن فى حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ، ثم اعتل أياما أثناء ذلك فتوفى تازا بين العشاءين ليلة الاربعاء منسلخ جمادى الآخرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الاعظم من تازا رحمه الله



الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا فى سفك الدماء لقبه : السعيد بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير ابى عطية مهلهل بن يحيى الخطفى ، ولما هلك السلطان أبو الربيع تازا فى التاريخ المتقدم تطاول للامر عمه أبو سعيد الاصغر وهو عثمان بن السلطان يوسف وخب فى ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شىء

واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدأة من الليل وتفاوضوا فى أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبى سعيد الاكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستدعوه فحضر . فبايعوه ليلئذ ، وتم أمره وأنفذ كـبه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن على بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمائة وملك قصر الخلافة بالحضرة

واحتوى على أمواله وذخيرته ، وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبى سعيد بظاهر تازا على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فصلح حال الناس فى أيامه ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج فى ذى القعدة الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد هنالك عيد الاضحى وباشر أمور الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس فعقد سنة احدى عشرة وسبعمائة لاختيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليهما من الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراکش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعشه موثقا فى الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها مؤيدا منصورا والله تعالى أعلم



غزو السلطان أبى سعيد ناحية تلمسان



كان بنو مرين قد حقدوا على أبى حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه فى أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى وتسهيله الطريق لهم الى الاندلس ومداهنته فى ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين السلطان أبى الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالا فحقد بنو مرين على أبى حمو ووجدوا فى أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنه الاميرين أبا الحسين وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعية فاكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بني يزناسن وأتخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبي حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التعية فأنتهى الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره



خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك



كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأكبر من أمته الحبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان ، وثانيهما وهو الأصغر من علجة من سبي الفرنج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كعبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليريناني من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه على انحاش هو أيضا اليه وصار في جملة وخط نفسه بحاشيته طاعة لأبيه ومسارة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص

وكاد يستبد بالامر كله

ولما قفل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبعمائة أقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام على أبيه وخلع طاعته ، فراوده المداخلون له على التريص حتى يمكر بأبيه ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ، ودعا لنفسه فأطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودي ، وتفظن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على الفودودي ونزع الى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضى عنه ، وكان الامير أبو الحسن قد لحق بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء ابنه أبي علي ، ولما تراءى الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف السلطان وانهزم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ، ويقال أن أبا الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي بالصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ، فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الامصار واستحكم العقد بينهما وانكفاً الامير أبو علي راجعا الى حضرة فاس مملكا على المغرب وتوافت اليه بيعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره

ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب وذلك أن الامير أبا علي اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسايلوا الى والده السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافى الامر وانتهاز الفرصة ، فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابتنى دارا لسكناء وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لآخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير

أبى على اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سبجلماسة وما والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم طواغن العرب من بنى معقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لآخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا اليه طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار السبارة بالمدينة المذكورة وفيها سار الى مراكش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما ثار الامير أبو على على أبيه وخلعه انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبى على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انحياشه الى أخيه لما كان بينهما من المناصفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتهانه فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو على الى سبجلماسة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلالله وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يفضب السلطان فى المحاوراة والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشىء من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يغريه به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأذن لابنه أبى الحسن فى نكبه فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الداهيين ، وأبوه أبو عبد الله محمد الكنانى هو الذى بعث السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى عند فتح مراكش وعاد اليه منه بالهدية صلبة وفد أهل تونس وتلطف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراکش وفرح الوفود
بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة
المرينية فكان من أمره ما قصصناه عليك



وفادة أهل الاندلس على السلطان أبى سعيد واستصراخهم إيلاء على الطاغية وما نشأ عن ذلك



كان الملك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر
منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان
واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتناول العدو وراء البحر
على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى
مرين كانوا شجى فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما ألعنا اليه غير
مرة ، ولما أفضى الأمر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه
أبى على وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى
غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطرة
ابن سانجة ويقال دون بطرة وقد نبها على لفظة دون فيما سبق ذهب الى طليطلة
ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه
استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية
الاهبة ، فوصلت أثقاله ومجانيقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم
فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجاً آخر يقال له
جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر
وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان
جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان وعلى نحو مائة
ألف من الرجال المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحائها الشيخ أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشى والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومحلّه من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمئة حسبما مر فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حيطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله ببأسه وبأس عشيرته فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا فى التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ودافع بقدرته عنهم وهياً لعثمان بن أبى العلاء فى الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمئة عمده عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بنى مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ورديفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما فى مراكزهما فصرعوهما فى جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فقتلوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصناً فيما حكي بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ، قلت : « هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفاً ويقال : « انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق » واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل المنوك السبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع في الاسرى والسبي والدواب ستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن العجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفساً وقيل عشرة أنفس وسلخ الطاغية بطرة وحشى جلده قطناً وعلق على باب غرناطة وبقي معلقاً سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم والله تعالى أعلم



انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك



لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب سجلماسة والصحراء على أبيه السلطان أبي سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراکش فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لاختيه الامير أبي الحسن وأغزاه اياه ، ثم نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها الكندوز ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة نهض الامير أبو علي في جموعه من سجلماسة وأغد السير الى مراکش فافتحمها بعساكره قبل أن يجتمع لكندوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورفع على القناة وملك مراکش وسائر ضواحيها . وبلغ الخبر الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعية ، ولما انتهوا الى وادي ملوية اتصل بهم الخبر أن أبا علي يريد أن يبيتهم فأسهروا ليلتهم وباتوا على ظهور خيلهم وبعد مضي جزء من الليل طرقهم أبو علي في جموعه فكانت الدبرة

عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جبل درن فافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الأمير أبو على عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مراکش وعقد عليها لموسى بن على الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الأمير أبو على بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضا والعود الى السلم فأجاباه السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يوتر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الأمير أبو على بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله



بناء مدارس العلم بحضر لافاس حرسها الله



قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبيه عليه، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سانجة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقتفى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رفق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحبس عليها الرابع والضياع ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده وفي سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الأمير أبو الحسن المدرسة

النى بغربى جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيات وأعجبها
وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك
كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جلية
تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها ربعا
كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعه الله
بقصده

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو
سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم
بمدرسة العطارين ، فبنيت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار
وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست
وشرع فى بنائها بمحضره ، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث
لم يبن ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معيناً من بعض العيون هنالك وشحنها
بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء للتدريس
العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك
ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى ، وسيأتى التنبيه على ما بناه ابنه أبو الحسن من
ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجمله ، فقد كان
لبنى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى
الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن



أخبار بني العزفي أصحاب سبتة

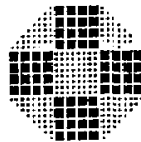
قد تقدم لنا أن الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبتة وقبض على رؤسائها من بني العزفي ، وغر بهم الى غرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقروا هنالك فى ايالة السلطان ابن الاحمر المعروف بالمخلوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المرينى على سبتة ونفى بنى الاحمر عنها استأذنه بنو العزفي فى الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من انتحاله، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بنى أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأنعم عليهم وعقد لابي زكرياء منهم على سبتة وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمائة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي على الامر وجعل له الابرار والنقض عقد أبو على على سبتة لابي زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشى وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبي طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا فى جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبي على على أبيه وانتقاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه الثائر عليه واستمروا فى جملة الى أن مرض الامير أبو على

* فى شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمائة كما فى الجذوة

وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد
لابي زكرياء على سبته ثانيا وبعثه اليها ليقم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه
محمد بن أبي زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها
وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين ، ثم هلك عمه أبو
حاتم بسبته سنة ست عشرة وسبعمائة وانتقض أبو زكرياء بن أبي طالب على
السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد
واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي
الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق
به كلمة بني مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم

واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجهز الى سبته العساكر من
بني مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليريناسي فزحف اليها
وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقتة له وانه اذا رجع اليه
ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد
ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي
زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تتأتى
الفرصة في أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه
بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا في جماعة من
حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر
الوزير بالهيفة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذي
كان عنده فلم يجدوه واتهم الجيش الوزير بانه مالا شيعه أبيه على أخذه والا فلا
يقدم أحد هذا الاقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير
وحملوه الى السلطان ابلاء في الطاعة وابلاغاً في العذر فشكر لهم ذلك واطلق
الوزير لعلمه ببراءته ونصحه



ثم رغب أبو زكرياء بعدها في رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرايتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبته ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنى العزفي بها

فانتهاز السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبته بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبي زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فتعرض للامر في أوغاد من ليفها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ، ورم مثلما وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ، فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميتها وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانيتها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأود من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعلمه وتنهله والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده و انتهت اليه رياسته سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعرعا نسيمة الذي كان تنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة . »
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم



المصاهرة بين السلطان أبى سعيد في ابنه أبى الحسن

وبين أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى والسبب في ذلك



كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان قد ضايق بنى أبى حفص أصحاب تونس وافريقية فى بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطراف ممالكهم وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك لملك تونس وافريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبى عمران كان لجا اليه فى بعض الفتن التى كانت له مع بنى عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى فهزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا لملكها والولاية عليها محمد بن أبى عمران المذكور، ليس له من الملك الا الاسم، والامر كله بيد يحيى ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبى زكرياء الحفصى الى بونة جريحا مطرودا عن كرسي ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبى سعيد المرينى ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التى كانت لسلفه مع بنى مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكرياء صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أببا محمد عبد الله بن تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمحاورات ونزلوا بمرسى غساسة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبى سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبى بكر الحفصى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :

« والله لا بذلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنازلها » وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصى بعساكره الى منازل تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونهب السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى وادى ملوية وعسكر بصبرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصى الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم العزفى والقاضى بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبي بكر الحفصى لابنه الامير أبي الحسن فوصلوا الى الحفصى وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم فى ابنته فاطمة شقيقة الامير أبي زكرياء وزفها اليهم فى أساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم أبي القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها ، وصيغت حكمت الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله فى دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها كما نذكر



وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف أحوالها كرامة لها ولايتها وسرور اعراس ابنه فاعتل هنالك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولى العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله فى فراشه على اكتاد الحاشية والجند حتى نزل بوادى

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية فى طريقه فتوفى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، وكان مرضه بعلة النقرس فوضعوه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسن الصالحين لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن أكابر كتابه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتي



الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان هو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والاندلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكحل وانما الاكل فى لسان العرب أكحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو على لملوكة من سبى النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا على الحضرة وأبو على ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين فى عصر واحد أحدهما أسمر والاخر أبيض فعرف هذا بالاكل والاخر بالابيض للمقابلة ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة على ولى عهده أبى الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم فأمر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار فى لسان زناتة معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضتنا النسرين فى دولة بنى مرين أنه دفن بشالة

* تسمى العنبر

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبى الحسن زوجته
الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانتقام لابيها من
عدوه أبى تاشفين الزيانى على ما ذكره



حدوث الفتنة بين الاخوين ابى الحسن وابى على ثم مقتل ابى على والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبى الحسن وتحقق
مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبى على لكلفه به وشفقته عليه فلما خلص
الامر الى أبى الحسن وكان موثرا رضا أبيه جهده اعتزم على الحركة الى
سجلماسة لمشاركة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب
ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة
فلقته وفود أخيه أبى على أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنئا له بما آتاه
الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أبيه بما
فى يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل
وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على
ذلك الملاء من بنى مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ السلطان أبو الحسن
راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبى تاشفين الزيانى فسار حتى انتهى
الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا لقدم صهره
السلطان أبى بكر الحفصى عليه وفاء بالعهد الذى كان انعقد له مع
السلطان أبى سعيد أيام وفادة ابنه ابى زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة
على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن
بتاسالت ثم بعث بحصة من جنده فى البحر الى صهره الحفصى مددا له وهو
يومئذ ببجاية يقاتل جيش بنى زيان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبى تاشفين صاحب تلمسان فكر فى أمر أبى الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبى على صاحب سجلماسة فى اتصال اليد به والاتفاق معه على أخيه أبى الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعدوه أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراکش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصى عليه فانكفا راجعا الى الحضرة مجمعا الانتقام من أخيه ، ولما انتهى فى طريقه الى حصن تاويرت شحنه بالعسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبى الحسن ووقف أمره على نظر منديل بن حماسة شيخ بنى تيربعين ثم أغد السير الى سجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخفقها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغاديتها بالقتال ويراوحها حولا كاملا ونهض أبو تاشفين فى عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كى يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فأنتهى الى تاويرت فبرز اليه تاشفين بن أبى الحسن فى عساكر مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصة من جنده مددا للامير أبى على فتسربوا الى سجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يغنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وتقبض على الامير أبى على عند باب قصره وجيء به الى أخيه أبى الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتثقيفه وحمله على بعل الى فاس وانكفا هو راجعا الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدا وخنقا وكانت سن أبى على يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذى استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبى على يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يغرنك الدهر الخوون فكم أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لابد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التي كانت تهابهم أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا واستغن بالله في سر وفي علن
واختر لنفسك أمرا أنت آمره كأنتى لم أكن يوما ولم تكن



وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابي الحسن بحضرة فاس وفتح جبل طارق



لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الاحمر
المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه
محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل
وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة
وزاحم الفرنج به ثغور المسلمين وصار شجى فى صدر الدولتين المرينية
والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويح الامير السلطان أبو الحسن
وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان
محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفادة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة
فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدارملكه بفاس سنة
اثنين وثلاثين وسبعمائة فأكرم السلطان أبو الحسن موصله وأركب
الناس للقاءه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبغ فى اكرامه ، وفأوضه
ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال
الجبل واعتراضه شجى فى صدور الثغور وقبل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبي
العلاء لانهم كانوا قد استطالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

فى أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبى على ومع ذلك فقد أمدّه بالجند وعقد لابنه أبى مالك على خمسة آلاف من أنجاد بنى مرين وأنفذهم مع ابن الأحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتتابعت إليه الاساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الأحمر فى الاندلس حشرين فتسايل الناس إليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا فى منازلته البلاء الحسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة ونقلهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون فى شخه بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كرة العدو وبأشر نقلها الاميران أبو مالك وابن الأحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الأحمر فنزل بازائه أيضا ثم خاف ابن الأحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا بائعا نفسه من الله فى رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقاء الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك فى تحصين ذلك الثغر وسد فروجه وقال أبو العباس المقرئ فى النفح : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحصينه وأنفق عليه أحمال المال فى بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاربه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخيب الله سعى الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ، ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان رحمهما الله تعالى

وأما ابن الأحمر فإن أولاد عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما رأوا ما حصل بينه وبين السلطان أبي الحسن من الوفاق واتصال اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم إذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فبخروجهم عليهم ومناذتهم إياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس فباستحواذهم على أهلها ومزاحمتهم إياهم في رياستها فتشاوروا فيما بينهم وقتكوا بابن الأحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاخذ بثار أخيه فاحتال على بنى أبي العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غربهم الى تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره



فتح تلمسان ومقتل صاحبها أبي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبنى زيان بمهلكه



لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي على صاحب سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام من صاحبها أبي تاشفين الذي ضايق أصهاره من بنى أبي حفص في أرضهم ونازعهم في ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لأول بيعته شفعا الى أبي تاشفين في أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع الى تخوم أعماله التي ورثها عن سلفه وقال له في جملة ذلك : « كف عنهم ولو سنة واحدة لسمع الناس انسى نافحت عن صهرى ويقدرؤا قدرى » فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ للرسول في القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده في الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبى الحسن بمحضره فعادت الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتفاض أخيه عليه وعوده اليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان فى هذه المرة فعسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح عنهم وعبى مواكبه وفصل فى التعبئة من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فصار يجبر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فحمر عليها الكتائب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها، ثم سار على التعبئة حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وسرح كئابه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبى تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاه مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكرى شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فصار فى الالوية والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتتح أمصاره حتى انتهى الى لمدية ونظم البلاد فى طاعة السلطان أبى الحسن واحتشد جموعها فلحقوا بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واختط بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزول عساكره، وأحيا معالم المنصورة التى كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترتفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليه ورتب المجانيق لرجمها وأحكم عملها لدكها فنالت من ذلك فوق الغاية،

وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مراكزهم وربما انفرد في طوافه فطاف في بعض الايام متبذرا عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة كالتى كانت ليغمراسن بن زيان في السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد ، وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لايلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهاقتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد ابن سلامة بن على كبير بنى يدلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في زناتة الى أشباه لهما استلحموا في هذه الوقعة فحصد هذا اليوم من جناح دولة بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبو الحسن مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق ابن عثمان وهو الذى كان خرج على السلطان أبى الربيع وبايعه عبد الرحمن ابن يعقوب الوطاسى حسبا مر ، فانه لحق به بعد تلك الوقعة بتلمسان ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتقاض العزفى بسببة سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبى بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبى تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشاهده في جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وفتيان كريهة فمانعوا دون القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصا الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكضت ابوابها بالزحام حتى

لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكت
أسلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورجة الباب وانطلقت
الأيدي على المنازل نهبا واكتساحا

وأما أبو تاشفين فانه قاتل حتى قتل ابنه عثمان ومسعود أمامه وخلصت اليه
جراحات فأثخنه وتقبض عليه بعض الفرسان فساقه الى السلطان فلقبه ابنه الامير
أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من
فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتفريعه ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو
تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع
وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى أن كوثرُوا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوثاق
وامكان الشمت فكان في شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ
الفتيا بلمسان وهما الامامان الشهيران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى
ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب
والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجند عن الفساد وعاد
الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو
الحسن على تلك الامارة المؤتلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمان الذخيرة
وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف
الاثاث والماعون ، ورفع القتل عن بنى عبد الواد أعدائه وشفا نفسه بقتل سلطانهم
وعفا عنهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم
ومراكزمهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين
وسائر زناتة وصاروا عصبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ،
فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى تغور عمله بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا في جملة واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن
ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان
المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان ابي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله



كان للسلطان أبي الحسن مذهب وراى فى ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء فى ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديارته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحيته صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج فى سابلتهم ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قربة الى الله تعالى وابتغاء للمثوبة فانتسخها بيده وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وعريف الوزعة باباه الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر اخنفا لا تحدث الناس به دهرا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها

خمسائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسائة حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللط ومن خرثي المغرب وما عونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكرمته واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ووصلوا الى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدموا هديتهم اليه فقبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المشرقية الغربية الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكرمته وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد « اه كلام ابن خلدون ببعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «السند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر النفيس الملوكي ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشقفات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف
الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة
ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها
حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم
بالجواهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة
ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية
حديد بذهب مكلل بالجواهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة
عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة
وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان
بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة
أبواب وقبة أخرى مضرية من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهى من
حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة
مذهبة ومن البنات الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب
ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال
سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الربعة المكرمة يعنى ربعة
المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف
 وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلاثمائة وكسوة واقائد الركب أربعمائة
وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد
ابن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج
ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر
ألفا وخمسمائة ذهبا اه ، وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن
أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية
فى مرات ، ومنها للملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلطين السودان كصاحب
مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان اه ، وقال العلامة المقرئى
مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثان وعشرين من رمضان سنة
ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان
(الاستقفا - ثات - 9)

ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليسة الى الغاية نزل
لحملها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان
من حملتها أربعمئة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها
بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك
لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها
اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها
مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى ، وكان قد خرج المهندار الى لقائهم
وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع
الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر
مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة
هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها
ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية
ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف
أردب أرزا وقنطار حب رمان وربيع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمعا وتوابل
الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل
أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجلب قدره وقيل لها أن تملئ ما
تحتاج اليه ولا يعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان اكرامها واکرام من معها
حيث كانوا ، فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن بغا بتجهيزها اللائق
بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية وهما كل ما تحتاج اليه فى
سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبجماط وطلبا الجمالة لحمل
جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره
أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمثل كلما تأمر به وكتب
لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن
مرزوق فى الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرئ فى نفح الطيب « كان السلطان أبو الحسن المرىنى قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشهد اليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

«وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وطر الختمات الشريفة فأيد الله حربه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لا بد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاية الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف » اه ، قال المقرئ : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى ببيت المقدس وربعته فى غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبى الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله



نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانياً ينتظر قدوم صهره السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبى سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان فى التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهداً لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه السلطان أبى بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبى الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقاءه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر بمتيجة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصى عن القدوم بسبب تسيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما » فكره الحفصى ذلك وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبى الحسن فى انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابنه الامير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لاول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان فى هذه المرة تمشيت سماسرة الفتن بينهما وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك .
وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى
الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه
وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده ، وتقبض على أهل
الظنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان
معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة
وسكن سعى المفسدين وانتبذ الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من
وتد بقاع ، فاشتد جزع الامير أبى عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض
الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بنى زغبة من هلال المواطنين بأرض حمزة
فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل وردده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب
العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين أصحاب
تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى
مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان
والله أعلم



ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من امره



لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبى عبد الرحمن وأودعه السجن
تفرق خدمه وحشمه فى الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب فى مطبخه ،
يعرف بابن هيدور وكان له شبه فى الصورة بأبى عبد الرحمن فلحق ببنى عامر
ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبى الحسن لاختصاصه
عريف بن يحيى أمير بنى سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب
لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا
به على نواحي لمدينة فبرز اليهم قائدها فهزموه ، ثم جمع لهم ونزمر بن
عريف بن يحيى فهزمهم واقترب جمعهم ونبذوا للجزار عهده ، فلحق ببنى

يزناتن من زواوة فنزل على شيختهم شمسي من بنى عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبى الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال في قومها وبنيتها على اسلامه اليه فأبت ثم نمت اليها الخبر بكذبه وتمويهه فبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بنى هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسبه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبى بكر الحفصي في شأن الجزار فبعث الحفصي الى يعقوب بن علي في ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبى الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه بسبته يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم دأؤه وبقي المغرب تحت جراية من الدولة الى أن هلك في بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فانه لما سجن بوجدة بقي هنالك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقتل عليه رحمه الله الجميع

اخبار السلطان ابى الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف

التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك



لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الأيدي يده وانفسح نطاق ملكه دعتهم همته الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبى مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهاز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل في بلاد النصرانية واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أغدوا السير في اتباعه فأشار عليه الملاء بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخمًا بين أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فلعج في إباته وصمم على التعريس وكان قرما ثباتا إلا أنه غير بصير بالحرب لصغر سنه ، فصبحتهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم نى بياتهم وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجذبوه* واستلحموا الكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزراءه الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عنهم واستنفر أهل المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث السى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة فى ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن على الغزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها للمصاف ، فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم المند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينىي Chénier

على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغاربة ج ٣ ص ٢٨٧ فقد استقصى ذلك واستدل عليه بالاثار الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى يدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن فى اجازة العساكر من المتطوعة والمرتقة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدو الى العدو ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع فى منازلها ، ووفاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر فى عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات ، وجهاز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففتيت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لسته أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكنه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فناروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد فى جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفها وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذى دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموهم لقتلهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبى بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى وغيرهما من حظاياهم فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن وانهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر ناراً ثم أحس المسلمون بماوراءهم في معسكرهم فاقتل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن السلطان أبى الحسن صمم في طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام فلما فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزاً الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى الفسطاط السلطان من المحلة فانكر قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعاً الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة في ليلة غده ومحض الله المسلمين وأجزل ثوابهم

استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولاً قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها ، وجمع الآلات والأيدي على حصارها وأخذ بمخقتها فأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل في المدائن حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مدداً من العسكر مع موسى بن ابراهيم

اليريناني من المرشحين للوزارة نيابة ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافته وتلاقت الاساطيل ومحض الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اشيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز ورجا أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الغلة والصناع والآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاوله ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب الى أهل الجزيرة المدد من الفرسان والمال والقوت في أوقات الغفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ، ولم يغن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج الى السلطان أبي الحسن يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له في الاجازة مكرأ به وأصدر له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق ، وضائق أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الامان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون



بقية اخبار بنى ابى العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبى العلاء كان يلى مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصيته وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل الفتح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبما تقدم الالماع بذلك ، ثم ان السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنييه داء دخل من بنى أبى العلاء الذين فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع عريف الوزعة باباه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين بعثهم اليه وانه لا يريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم فقدموا على السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلتقاهم بالبر والكرامة اكراما لشفيعهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم على الخيول المسومة بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملة ، ولما احتل بسبته لمشاركة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكناسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبما نذكره ان شاء الله



مراسلة السلطان ابي الحسن لصاحب مصر ابي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ، فخطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله ابن أبي مدين وفي صحبته الحرة أخت السلطان أبي الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصبحه السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبي الفداء وكان وصوله الى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

ونص الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : «من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثرالمرابطة والمثاغرة موازر حزب الاسلام حق الموازنة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين مهده البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبا سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبا الاملاك مشجى أهل الغناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر في قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحى رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبليين باسط
الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحيطة النفوس
والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل
الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبى الوليد اسماعيل ابن
محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الاتفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال
عين انسان المجدوانسان عين الكمال وارث الدول النافذ بصحيح رأيه فى
عقود أهل الملل والنحل حامى القبليين بعدله وحسامه التامى فى حفظ
الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم أحزاب المعاندين وجوشها هادم
الكنايس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل
الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد
المرابط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر
زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد بن الملك الارضى الهمام
الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرننج
والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام
ثمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور
المسدّد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين
قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلعها له السعد شمسا
فى سمائه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح
زهر الربى مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت
تقل الفلك حر كاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمه الله وبر كاته أما بعد حمد
الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدءا باليقين ودفعاً للشك وخادل من أسر
النفاق فى التجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله الذى محى بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبه الذى حتم به الانبياء وهو
واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك
وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداة

فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محبة الصواب
أنجح السلك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر
لمضائه في العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك
الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا
مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف وكيف
مواهب تلهج اللسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره
العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد
سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح
في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم
تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سيلا مينا فلا خفاء بما
كانت عقده أيدى التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بينا وبين
والدكم نعم الله روحه وقدس وبقره مع الابرار في عليين أنسه من مؤاخاة
أحكمت منها العهود تالية الكتب والفتاحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتها
المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بتعارف الارواح عند تنازع الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت
كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن
الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول « ومن
يسأل الركبان عن كل غائب » أنبا باستشارة الله تعالى بنفسه الزكية واكتان درته
السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفقده في
الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك
الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض
الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عميت
الاخبار وطويت طي السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن
استقر له ذلك الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ
أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الورد من تلکم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلکم الاوطان فبعد لائى وقعنا منها على الخير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدتها من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاین أنار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا المواريث فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفنتة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من الغراء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلکم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره ومن قمتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداء ومحتضره هنيئا بما من الاجراكتسب وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولکم الله أجمل التهنية وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاهما أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالة محققة وثناء كمائمه عن أذكى من الزهرغب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدکم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلکم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الاآفاق ذكرا وطوق أعناق الورد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما يعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف
 اذنه للمتوجهين اذ ذاك فى شراء رباغ توقف على المصحفين ورسم المراسم
 المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما
 بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على
 ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها
 به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا
 الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
 الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى
 مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال
 تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن
 يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم فى
 هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى
 فى ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل
 وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشديد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل
 والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على
 ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الشاء الذى يفواح
 زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالة
 نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب
 على ذلكم الجنب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريح ونادى منالجهاد
 عزما لئلا ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب
 وفرض عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد
 الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام
 منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد
 وسرنا على أثرهم الى سبته منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا
 وقد أخذ أخذ العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور
 وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتخلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعه من الاعاد لكننا مع انسداد تلك السيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلکم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بما أمکن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهاز للجهد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمدانة محلة حزب الضلال وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لآحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الوفيرة والابطال المشهورة والخيال المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهد مضى لما عند الله عز وجل وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجة ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلاص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها يمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعر الاورق الا أن المطاولة بحصارها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجاح فأذننا له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من

بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولا رزئوا مالا ولا عدة ولا لقوا في خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على ألف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقر ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المطل على هذه المدرة والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا بأصفاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخبرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعشاء السفر ونرتبط العبياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وعلى مراقبة الفرصة عند تمكنها في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسر الركب الحجازي موجهها الى هناكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالككم من غرض بهذه الانحاء موفى قصده على أكمل الاهواء موالى تنميته على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الود متحدة والقلوب والأيدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ

قال ابن خلدون : « ففضى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وفادته ما حمل وكان شأنه عجباً في اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله » وقال العلامة المقرئى : « وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك » اهـ ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسملة في قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله ووليه » صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد الم رابط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار ، اسكندر الزمان مملك اصحاب المناير والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخصص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد الم رابط المठाغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمد الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الاتصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه بالتغريد فى الروض سواجعه وجلى
فى كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه
«أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثة
وأجلستنا على سرير مملكة زرايبها بين النجوم مبثوثة ، واحسنت بنا الخلف
عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوتة ، وصلاته على سيدنا محمد
عبد ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله وسؤله
صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب
وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق
على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ، ويصنع خد الورد بالخجل متوره
ويحكى الرياض اليانة فالالقات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع
على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب
ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب
فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبها الفاته
بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره
المنتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانتهينا الى ما أود عتموه من اللفظ
المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح التطبع بيانها
المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن
لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه فى عدة الشهداء
ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا
يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق
ويوقف عند نظارة حداثته الاحداق وورثانته حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة
تشبه فى اللطف شمائلكم - واما الهناء بوراثه ملكه والانخراط مع الملوك فى
سلكه فقد شكرنا لكم منجى هذه المنحة وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه
ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفس سرحة الروض شرحه
وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يمد طود رسوخه
ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين اللذين
وقفتموهما على الحرمين النيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى
الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابي عبد الله بن ابي مدين اعزه الله لتفقد
احوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بسن معه فى حرز
السلامة واكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان
اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقريناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا
فى أمر المصحفين الشريفين بما اشرتم ورسمنا لنوابنا فى توخى اوقافهما بما
ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها
مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازالة رسمه أو اذالة حكمه
بدره ابدا فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كفه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة
تصرفاتنا فى مسالكنا وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية. وأما ما وصفتموه
من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه نسق
علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل
الحققان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت
المساعدة اطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم اباطحهم بقسنا
المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراد الرماح وجعلنا ليل العجاج
ممزقا بروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق
الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك
الأسنة وفلقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالربعات ولكن اين الغاية
من هذا المدى المتطاوول واين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى
نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا
- وأما - ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الاتلاف وام حرم فنائها الفناء
وظاف به بعد الاطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على
اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لا يخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلى
 عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر حين لان الدر يفدى
 بالذهب - وأما - ما رأيتموه من الصلح فرائ عقد مبارك وامر ما فيه فارطعزم
 وان كان فيندارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها
 نصرها تارة ويغيب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا
 وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا
 لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى
 التدبير سرورى التثمين لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة
 صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب
 وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى
 فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما
 شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد
 الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفة وعزما تكم الى جهات الجهاد
 مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق
 وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل
 العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال
 التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم
 فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أنيتها وتحفكم
 تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج
 كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا
 أنتم سبها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعتناء بهم ينضد حبيها واذا كان
 بأوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم
 بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة
 حازوا الراحة من العناء وقازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
 ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لاسافة لمسافر بين الشرق
 والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لآخذ الثار حمايتكم وتخصصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليناع من ورق الحديد الاخضر وتتحفكم بسعد لايلى قشيه وعز لايمحو شبابه مشيه وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعتبرة وتنافحكم بمنه وكرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة »

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها » اه وهو يقتضى أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبى العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة بيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .



هدية السلطان ابى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب



أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كانغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك ، وكان ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الآفاق فسمما هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من المثلثين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان أبى الحسن فى سبيل التهئة بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه وشيا من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصى فأوفدهم
بها على ملك مالى منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى
أعراب الفلاة من بنى معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمرو لذلك على بن
غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم فى طريقهم امثالاً لامر السلطان
وتوغل ذلك الركب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن
منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى
مرسلهم فى وفد من كبار مالى يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه
ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبى
الحسن واعتماله فى مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذى ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو
الذى صحبه أبو اسحاق الساحلى المعروف بالطويجي (*) من شعراء الاندلس ،
كان قد لقيه فى الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى
بلاده وأقام عنده مصحوباً بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبة رائعة
فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجن
السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع
اليدىين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من
أتقن المبانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة
البناء بأرضهم ووصله بأتنى عشر ألفاً من مثاقيل التبر مثوبة عليها » اهـ وكانت
وفاة أبى اسحق بتبتكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة
سنة سبع وأربعين وسبعمائة



مصاهرة السلطان أبي الحسن ثاني مع السلطان أبي بكر الحفصى رحمهما الله



قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبى الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبى بكر الحفصى فلما فقدوها أبو الحسن بقى فى نفسه منها حين الى ما شغفته به من خلالها ولذاذة العيش فى عشرتها فسمما أمله من الاعتياض عنها بعض أخواتها ، فأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد من بنى زغبة الهلالين وكاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وفقه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبى بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطيين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع فى ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانعقد الصهر بين السلطانين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبى العباس الفضل بن أبى بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب فى شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها فى ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابيه جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبى الحسن واتصل بهم الخبر فى طريقهم بوفاة السلطان أبى بكر فجأة ليلة الاربعاء ثانى رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى اكرامهم وأجمل موعد

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرتة على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند
السلطان أبي الحسن الى أن سار في جملته وتحت لوائه الى افريقية كما
نذكره ان شاء الله



غزو السلطان ابي الحسن افريقية واستيلاؤه على تونس واعمالها



كان السلطان أبو بكر الحفصى رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي
العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن
عتوا في غرض له وأصبحه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه
فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه
الله وأحكم العقد في ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا
عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوائشريسى فى أقضية «المعيار» عن الشيخ ابن
عرفة أن سلطان افريقية أبا بكر الحفصى كتب العهد لولده أحمد فلما توفى
السلطان المذكور أحضر أبو محمد بن تافراجين قاضى تونس قاضى الجماعة
أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضى الانكحة أبا عبد الله الأجمى
وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعته
أخيه أحمد والتزمناها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبىلا فلما رأى امتناعهما
قال : « ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه » فلما دخلا أحضر الحاجب
المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج
القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان فى انتظار أحمد المشهود له بالعهد
وهو غائب بقفصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفة يستصوب
فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا وبيعهما ثانيا ، ثم قدم الى العهد ووقع
بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان فى آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى ءاخرين منهم وقطع عمر
 أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا ، وكان الحاجب أبو محمد
 ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه
 فسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبى الحسن
 وقص عليه الخبر وأغراء بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها
 وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين
 لها الاوقات ويترب لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى المرء
 اذا صادفت هوى فى الفؤاد) فأظهر أبو الحسن الامتعاض لما فعله عمر
 بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقة دمه ثانيا لاسيما وقد كان
 أعطى خط يده بالموافقة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق
 به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستعداه على
 عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى
 افريقية وأزاح عنهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان
 وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان
 على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته
 وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاء قابس وبلاد الجريد وأطاعته
 طرابلس والزاب وبجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء
 ابن ابى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابناء الامير أبى عبد الله بن
 أبى بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم
 جبايتها ، وأنزل بقسنطينة خلفاء وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب
 بجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعه الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو
 حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس
 مع ظاعنة أولاد مهلهل واستحثوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقر ، فشرح
 معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى

وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطوح الجباب
 منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأغذ حمو بن يحيى السير مع ناجعة أولاد أبى

الليل فلحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده فى ناققاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما قائد العسكر بيده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تفتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه بباجية وخلص الفل من تلك الوقعة الى قابس ، فتقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن مقرنين فى الاصفاة فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرابتهم واعتقل الباقي

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى ابن سليمان من بنى عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاهرها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأتوه بطاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته مغتبطين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرافع وابن راشد القفصى وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من مجموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد ويلييه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وهو أخو السلطان أبى بكر ويلييه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنى مرين وكبرائهم ، وهدرت طوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفافا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلفي وخلع على أبي محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطابية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول المائلة لضهاجة والعبيدين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهدية ووقف على ساحل البحر منها وتطوف في معالمها ونظر في عاقبة الدين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالح على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات العرب التي كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصهره الفضل ابن السلطان أبي بكر اكراما لصهره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبي الحسن ما بين مسراته الى السوس الاقصى من هذه العدو والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد فى سبيل التهئة بالفتح
وكان سابق الحلة يومئذ أبو القاسم الرحوى فى قصيدة يقول فى مطلعها
أجابه شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
وهى طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه



انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابى الحسن ومانشأ عن ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم
كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى
سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال
وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم
بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المرىنى حاله
مع عرب المغرب الاقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل
باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من
اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما
تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه
باعتديات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فنقصهم
الكثير منها ، ثم شكوا اليه الرعية من أولئك العرب وما ينالونهم به من
الظلمات وضرب الاتاوة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله
وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم وثقلت
وطأة الدولة المرىنية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعاونت ذئابهم فى بواديه
فاجتمعوا وأغاروا على قباطين بنى مرين ومسالحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا
على ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها
فعظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجو بينه وبينهم ، ثم وقد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مغضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بأفريقية وانه خشي على نفسه بادرة السلطان فتبرأ اليه من ذلك ، فقامت قيامة السلطان أبي الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصى معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسحبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

واتصل الخبر بأولاد أبي الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا في أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستثيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبي الحسن لانهم كانوا شيعا لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فتطارحوا عليهم ورغبوا اليهم فى الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابدته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فتذا مروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصدروا نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبي دبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة فى توزر بعد ما طوحت به الطوائج فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيا من الفساطيط والخيول والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالموضع المعروف بالتينة بين بسيط تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على الثبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى التعية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واختل مصافه فانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابقت العرب الى معسكره فاتتهبوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمة ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حلهم فدارت بها سياجا واحدا وتعاونت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمة ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم الغوغاء كى يستنزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبي الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد سئم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه لملكها الفضل ابن السلطان أبى بكر شقيق زوجته وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة المرينية مرض وكان العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا فى أمر ابن تافراجين ، فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه اليهم ليفاوضوه فى الرجوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاذن له فيخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبى الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس ثم سرحوه الى حصار من بالقصبة من بنى مرين وطمعوا فى الاستيلاء عليها وفض ختامها فسار ابن تافراجين اليها وانضم اليه أشياخ الموحدين فى زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ، ثم لحق به ابن أبى دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنعت عليهم ولم يغنوا شيأ ، وابن تافراجين فى أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان أبى الحسن من القيروان الى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم اياه بالقيروان اختلفت كلمتهم لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل فى الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالا ونذر بنو أبى الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلق أخويه خالدا وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبى زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدهوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلا على التعية وذؤبان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه الى أن استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهو محاصر للقصبة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبى دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فملكوا البلد وخربوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلطان أبو (الاستقما - ثالث - 11)

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس فى ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر فى التقبض على ابن تافراجين فأجاره بعض الإمراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن فى اصلاح أسوار تونس وإدارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسماً دفع به فى نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبى دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها واستبلغوا فى حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ، ثم راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادنته فعقد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبى دبوس وقادوه اليه استبلاغا فى الطاعة وامحاضا للولاية، فتقبل فقتلهم وأودع ابن أبى دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بابنه أبى الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبى الحسن فى الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة إقامته بتونس الى أن كان ما نذكره والله غالب على أمره



انتقاض الاطراف وثورة أبى عنان بن السلطان أبى الحسن

واستبلاؤا على المغرب



قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصى رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبى الحسن بعث معها فى زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبى بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ، ولما وصل الى السلطان أبى الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعدته بالمظاهرة على ملكه فبقى عنده بتلمسان الى أن نهض فى صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التى كان يلى عملها أيام أبيه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئموا ملكة
بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التى كانت لهم مع الملوك
الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت فى نفوسهم جيلا بعد جيل
فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يالفه الفتى وحينه أبدا لاول منزل
فأشربوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن
قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبى الحسن وكان
فيهم عمال الجبابة قدموا بجبايتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم فى
ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج
بعثهم طاغيتهم بقصد التهئة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذى
أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خبال فى عقله وأرسل معه
بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى بعثهم السلطان منسا سليمان بقصد
التهئة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افريقية
فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم فى خبر طويل

وفى أثناء ذلك ثار الفضل بن السلطان أبى بكر صاحب بونة فراسله أهل
قسنطينة فى القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل
بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من
كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا
الفضل بن أبى بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره
بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس ثار عليه أبناء
أخيه أبى عبد الله بن أبى بكر فانتزعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتقض
على السلطان أبى الحسن أيضا سائر زناتة من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى
توجين وبايح بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم فى أخبار طويلة
وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالقتال وتراوحه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت
 أنباؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق
 والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغرب الثلاثة الأدنى والأوسط
 والأقصى واتصل ذلك بالأمير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه
 عليها عند ذهابه إلى إفريقية حسبما مر ، فلما أرجف بمهلك أبيه وتساقط إليه
 الفل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول إلى الاستئثار بملك أبيه دون سائر
 إخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف ، واتفق
 أن كان عنده رجل من بني عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن
 جرار وكان ينسب إلى علم الحدائق ، ولما سافر السلطان إلى إفريقية كان هذا
 الرجل أول المرجفين به وأنه لا يرجع من سفرته وأن الأمر صائر إلى أبي
 عنان ونجح ذلك في أبي عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخلصه
 بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم
 يسترب أبو عنان في صدق ابن جرار وأنه على بصيرة من أمره فتحضر للوثبة
 وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه
 منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وأنه ثار بها
 وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتياز
 الأمر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه إنما عزم على الذهاب إلى إفريقية
 لاستنقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتقاء وتفطن
 لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة
 بالضواحي ، فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبي عنان
 على حين أمضى عزيمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة
 من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من
 قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملاء وقرأ كتاب بيعتهم
 على الأشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورسست
 قواعد ملكه وركب في التعبئة والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس
 وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم
كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ، ثم
فتح الديوان وجعل يتركب كل من تساقط اليه من قبل أبيه ويخلع عليهم
وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها
فاستمر بها واستبد الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان
ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ، ولما انتهى الامير أبو عنان الى
وادي الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على الفتك به
بتازا تقربا الى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته ، وانه قد داخل في ذلك
حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلعه هذا الواشى على كتاب
الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأعد
السير الى المغرب

وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بوادى أبي الاجراف من ناحية تازا فاقتل مصاف منصور وانهزمت جموعه
ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد
تسائل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجند
من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق اليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد في
ربيع الآخر من السنة المذكورة فآخذ بمخنقتها وأجمع الايدي والفعلة على
الالات لحصارها ، ثم أرسل الى مكناسة بإطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين
بالقصة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيّقوا عليها الى
أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع الى أبي عنان أهل الشوكة
منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بأن أظهر
النزوع عن أبي عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به
فيمن معه من حاشيته واقتحمه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه
فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتسابقت اليه وفود
الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم
رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبى عنان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كر ذلك
فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلى من آل
الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد انتقلوا من صقيلة الى سبتة
فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق
للأمير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا
من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب
الناكثين لعهد الناكثين عن طاعته فاقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس
يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تنتفض والخوارج تتجدد وقط من كان
معه من حاشيته وسئموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسنوا له النهوض
الى المغرب فأسعفهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفى هذه
المدة كتب اليه السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر كتابا من انشاء وزيره
لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له
ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعدته فى انتظام واتساق ، وجياد عزه
الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله
تعالى عليه مديدة الرواق ، وإياديه الجمّة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث
مجده سمر النوادى وحديث الرفاق ، مقام محل ابنا الذى شأن قلوبنا الاهتمام
بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط
ببابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف
بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجيّة
لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل
المشهوره المعلومه ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة
الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة
الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن
نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج
وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد ابتكارها ، ومقيل الايام من عثارها
ومزين سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من راحة
افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها
واضطرابها ، ومتداركها باللفظ الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطانها
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ،
وناب مجدها السامى ونجارها، نبي الملاحم وخائض تيارها، ومذهب رسوم الفتن
ومطفئ نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة
الله ما شاءت من سطوع انوارها ، ووضوح اثارها والرضا عن آله واصحابه
الذين تمسكوا بعهد على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء
دعوته الحنيفية وازهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها
وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موقف
اعتذارها وتعرض على مثابكم ذنوبها رغبة فى اغتفارها فاننا كتبنا اليكم
كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب السعادة وعرفكم
عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين
من عباده من حسراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى
الشدائد الاعتماد . والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته
سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتبخر
سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن ما آلتها لله
الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها وتستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله
تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه
والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر
والغائب وخلص الخلوص الذى لاغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى
وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى
صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأني بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعافت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى لاعاتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقة واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ، ويتأني له باعاتنا الغرض المروم فينما نحن ننظر فى تميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمقترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استعتم بها على الحركة والعزمة المقترنة بالبركة حطت احدهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المرية فى كنف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاطوان التى يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم جركنها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقررة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعر دنو

حييه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده و طرف ألقه رقاده وفكر
 ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخدمتكم المذكور
 من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه
 بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى بحوله أسبابها ويقترح بניתكم
 الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع
 الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما
 يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع
 العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم فى
 بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادى
 الحديثة والقديمة وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل
 الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة
 والاعداء الذين غصت بهم فى الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق
 بكم والاتصال بسيكم حتى نوفى لآبوتكم الكريمة حقها ونوضح من
 المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى
 نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا
 ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة
 وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضراعتنا وابتهاننا
 هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم
 الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ما له من الاوطار ويصل
 سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته « اه



ركوب السلطان أبى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن فى ذلك



كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبى بكر الحفصى بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبى الليل وأغروه بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبى الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبى الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد بأشارة أبى القاسم بن عتو المقطوع ، ودخل فى طاعته توزر وقفصة ونقطة والحامة وقابس وجربة وانهى الخبر الى السلطان أبى الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشى على الامر ، وكانت بطاقته توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر فى فصل الشتاء وهيجان البحر وقلب البرد بعد أن عقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبى الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبى بكر وهو ببلاد الجريد فاغد السير الى تونس ونزل بها على أبى الفضل المرينى ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزلوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بنى حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله الى أبيه فلحق به بئر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليال من اقلاعهم عن تونس

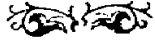
فمنعهم صاحب بجاية الحفصى من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
فزحفوا الى الساحل وقتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
ثم عصفت بهم الرياح فى تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت
الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
قائلاً على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشراً للموت ،
وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو
يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التى تعلقوا بها فمكثوا
ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف
فبادر أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتلموه وقد تصايح به البربر من الجبال
وتواثبوا اليه حين وضع النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتلموه
وقذفوا به فى مدينة الجزائر

وفى نفح الطيب أن أساطيل السلطان أبى الحسن كانت نحو الستمائة
ففرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو
أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو
عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على
حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس
وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد
الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلاً كان
بتلك الديار معروفاً باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن
أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن
فكان غرقها بقدره الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه
مجن اه

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استنشق ريح الحياة ولائم
الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق
واستركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من
أحواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف السلطان أبي الحسن واستيحي معسكره واتتهبت فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بسالته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب طعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ، ثم خلس الى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ولحق بحلل قومه قبلة جبل واشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالنجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز الى سجلماسة في القفر ، فلما أطلوا عليها وعان أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج حتى خرج اليه العذارى من ستورهن ميلا اليه ورغبة في ولايته ، وفر العامل بسجلماسة الى منجاته

وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجلماسة نهض اليه في قومه وجموعه بعد أن أزاح غلله وأفاض عطاءه فيهم ، وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجنائتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعد بهم في الاسفار ويتجسم بهم المهالك والاطار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن علم من حاله أنه لا يطيق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه في قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزع الى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكذب الى ابنه ونزمار ينهاء عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرتة له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليقعن بابنه عترة وكان معه في جملة الامير أبي عنان فآثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق ببسكرة فكان بها الى أن رجع الى أبي عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجلماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مراکش ودخل أبو عنان سجلماسة فنقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها ليحتاتن بن عمر بن عبد المومن كبير بني ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار الى مراکش فاعتزم على اتباعه اليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامها عنها إلى هنتاتة
 اهل جبل درن ووفاته هنالك


لما أجفل السلطان أبو الحسن عن سبعمائة سنة احدى وخمسين
 وسبعمائة قصد مراکش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها
 تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب وفسلوا اليه من كل حذب ، وفر
 عامل مراکش الى أبي عنان ونزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان
 الجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزانة من مال الجباية
 فاختمه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبى الاموال
 وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له
 بمراكش ملك رجبى معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره
 وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساقتها وشرع في العطاء وازاحة
 العلل ، ثم ارتحل في جموع بنى مرين الى مراکش وبرز السلطان أبو الحسن
 للقاءه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم الربيع وتربص كل واحد
 بصاحبه عبور الوادى فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بتمدغوست في آخر
 صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فاقتل مصاف السلطان وانهزم
 عسكره ، ولحق به أبطال بنى مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبى به فرسه
 يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فاعترضهم دونه أبو
 دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الذواودة من عرب رياح ورديف أخيه
 يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملة الى هذا اليوم
 فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه رداً له ، وأسر حاجبه علال بن محمد
 فأودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن
 ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى فنزل عليه وأجاره واجتمع
 اليه الملاء من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وبإيعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هتاتة ورتب المسالحي لحصاره وحربه وطال عليه ثوابه حتى طلب السلطان من ابنه الإبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز إليه بأن يبعث له مالا وكسى فسرّج الحاجب ابن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أوليائه وخاصته واقتصد لإخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما ، والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر إلى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواد نعشه إليه فتلّقه حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش قبلى جامع المنصور من القصبة بالموضع الذى به اليوم قبور الملوك الإشراف السعديين ، ثم لما نهض أبو عنان إلى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثر إلى الآن رحمه الله تعالى

بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا إلى التقوى ، مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لافى صغره ولا فى كبره ، مجبا للصالحين عدلا فى رعيته

(*) حكى المؤلف قولاً آخر فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بنى مرين »
انه مات مسموما ، وفى الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشاركة فى حقه ما صورته : «ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسمااته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة» . اهـ وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «النزهة» : «ان الذى بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومحجته للعلم وأهله» ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخلى الى سلا المعروف عندهم بسور الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب : وهو أنى كنت ذات يوم أفاوض بعض القناينة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخلى الى البلد ، فقال على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت متشوقا يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيلة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى سائر حيطان المدرسة وسواربها ، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحفرت عن قنواتها وتبعت مادة الماء الواصل اليها فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخلة فيه بحيث بنى عليها يوم تاسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شئ

من القنوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذى بناهما واحد فأعجبني كلامه وباحثته فى ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك فظهر لى صدق دليله وغلب على ظنى ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر

واعلم أن هذا السور من المباني العادية والهياكل العظيمة التى تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن خايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من القبلة الى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسى ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الارض متى ارتفعت ويعلو عنها اذا انخفضت ، ويجرى على متنه من الماء مقدار النهر الصغير فى ساقية قد اتخذت له ، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض عنه وكلما مر فى سيره بطريق مسلوكة نتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور الاقواس ، وبالجمله فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبى الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرهما من بلاد المغرب آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الابيض المجلوبة من المرية زنتها مائة قنطار وثلاثة وأربعون قنطارا ، سبقت من المرية الى مرسى العرائش ثم طلعت فى وادى قصر كتامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل الى منزل أولاد محبوب الذين على ضفة وادى سبو فوسقت فيه الى أن وصلت الى ملتقاء مع وادى فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس الى أن وصلت الى مدرسة الصهريج التى بعدوة الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام الى مدرسة الرخام التى أمر رحمه الله بنائها جوف جامع القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو ابو الضياء مصباح ابن عبد الله الياصلوتى الفقيه المشهور ، وانما نسبت اليه لان السلطان أبا الحسن لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها فنسبت اليه وقد تقدم لنا خبر المدرسة التى بناها غربى جامع الاندلس أيام أبيه وانفق عليها أكثر من مائة الف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القدما والجديدة وكان بنى القدما فى زمان أبيه والجديدة حين ولى الخلافة ، وله

فى هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعتها فقعده على كرسى من كراسى الوضوء حول صهريجها ، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، فغرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن
وكان له معرفة بالشعر فمن شعره قوله :

أرضى الله فى سر وجهه وأحمى العرض عن دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختيارا وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

وأخبره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى افه فى دولته وسيرته وسماء « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحل هذا السلطان وصفه بقوله :

الملك المعدود من خير سلف	ومجموع القول اذا القول اختلف
الدين والعفاف والجلاله	والعز والقدرة والجزاله
والعلم والحلم وفضل الدين	وصفوة الصفوة من مريين
ممهد الملك ومسدى المنن	وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة الشريفة	بمقتضى همته المنيفه
وتارك المدارس الظريفة	شاهدة بأنه الخليفه
وقاطع الدهر بغير لهو	فى مجلس معظم أو بهو
اما لتدريس وعلم يدرس	أو لبلاذ من عدو تحرس
أو لا ياد فى عباد تفرس	أو لثواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب	أو عدة معدة لحرب

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى (الاستقفا - ثالث - ١٢)

وابو محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، وابو الحسن علي بن
القبائلي التيمملي رحم الله الجميع بمنه
ولنذكر ما كان من الاحداث في هذه المدة :

ففي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان
الجديدة المسماة بالمنصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج
السلطان أبو سعيد ماثيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع
والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء
يدعون الله تعالى ، وقدم بين يدي نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفي يوم
السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ ابي يعقوب الاشقر بجبل
الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وعاث ارضه وبلاد

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي الشيخ أبو الحسن علي بن
محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين
وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة ، وكان ربعة آدم اللون
بخفيف العارضين يلبس أحسن زي ، ويدرس بجامع الاجدع من فاس
يقعد على كرسي عال لسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته
وكان حسن الاقراء وقورا صورا ثباتا ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور
عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

« قد ذكر صاحب روضة السرين بعض اولاد السلطان ابي الحسن فقال : « اولاده
الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم
والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو
عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر
بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضيرة وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمة ويامنة
والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الفا وثمانمائة
واثنين وستين اخبرني بذلك ثقتي الشيخ المعمر علال بن محمد بن « مصمود الهسكوري » .

القول ولاء السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى في العدل على صراط مستقيم ،

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدي المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصلاح وكان انتفاعه بصحبة الشيخ ابي زيد الهزميري رضى الله عنه

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة واحوازهما واستمر هبوبها يومين وليتين فعاقت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفي سنة ثلاث وعشرين بعدها في المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عييط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم والثلج الكثير بالمغرب وعدم الفحم والخطب حتى بيع الفحم بفاس بدرهمين للرطل ، وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجده السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزارين ، وعقد عليه هنالك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادام وعمت الخضار بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم في هذه المسغبة شيا كثيرا ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها في يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كثير عظيم الجرم تزن الواحدة منه ربع رطل واقل واكثر ونزل في خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفي سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد ياتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك عالافا من الخلق حتى خيف على البلد التلف

وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن أبى زرع المسمى « بالانيس المغرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ومما هو الغاية فى باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أشياخنا بمجلس السلطان أبى الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ فى كتابه المسمى بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما استهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام وتلى : « كانا ياكلان الطعام » فأخذ الناس يشون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون التبن بين يدي الدواب » وسئلت هل ياتيه شىء فاخبرت « انها صامت ذات يوم فادركها الجوع والعطش فنامت فأثاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد انى اردت ان يزداد فى عدد العدول ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك احدا يخلو بها (وبالجملة) يبالغ فى ذلك ويستندام رعيها عليه سنة لا حتمال ان يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا فى العقود

وبشاع أمره فى العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا بالزوم ، وعند الاسباب لابها الى غير ذلك ، الا انى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لايثار الدنيا على الدين فاننا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرئ : « وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة » وحدثنى غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبى بكر يعنى زوجة السنطان ابى الحسن التى استشهدت فى طريف اختبرتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة « اه كلام الشيخ ابى عبد الله المقرئ رحمه الله ويعنى بالوباء القريب فروطه: وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد ياتى على الخليقة أجمع والامور كلها بيد الله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى عنان فارس بن ابى الحسن رحمه الله



كان السلطان محبوبا فى قومه وعشيرته ، أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيافته وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفت اثر صلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب ، اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفاس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع في حياة والده يوم تار عليه بتلمسان حسبما قدمنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتاة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأغذ السير الى فاس وقد استتب أمره بخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي تناولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعتاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني فجمع له قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المرينيين وقتت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب وافترق أهل المعسكر في حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافى الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغبار ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبي سعد فساقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله ، وتقدم على التعية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) في بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغي بين أبي عنان وملك تلمسان أبي سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابي سعيد متشفعا في مغراوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعته فحقق علي بن عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حشرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فافتوا بحرايته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح في مجبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادي شلف من بلاد مغراوة فعسكر هناك واجتمع عليه أوشاب من زناته وحدث نفسه باللقاء ووعداها بالصبر والثبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فسرّح اليه وزيره فارس بن ميمون في عساكر بني مرين والجند فأعذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد السواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكتب الوزير بالفتح الى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق في نفر من عشيرته وبني أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكتب الوزير الى أمراء الثغور في شأن أبي ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصد حتى عثر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبي ثابت وابن أخيه أبي زيان بن أبي سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، فرفعوهم الى أمير بجاية أبي عبد الله محمد ابن أبي زكرياء بن أبي بكر الحفصي وكان خالصة للسلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقائه ، ولما تراءى نزل الحفصي عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاء مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فاكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما ذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها



لما وفد أبو عبد الله الحفصي على السلطان أبي عنان بلمدية في شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالع في اكرامه نجاه بذات صدره ، وشكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الى قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملاء ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصي عليه ونزع بعضهم عنه الى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الى عامله على بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بني الوزير الذين قدما خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية ثغر افريقية انكفاً راجعا الى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها في يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزياني ووزيره يحيى بن داوود على جمليين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والى الله عاقبة الامور



ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها



لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها ثقل أمره على نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصباغهم بالليل اليهم ، فتربصوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصي قد استصحب معه في وفادته على السلطان أبي عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرها فى نفسه الى أن بعثه الحفصى المذكور مع الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره الى المغرب ، فانتهى الى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل فى شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى مرين فنجع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلى ابن عمر الوطاسى بمجلسه من القصبية ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره فى داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليثم أطرافه طعنه بخنجره ثم وليج عليه الباقون فاستلحموه وذلك فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة واثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبى زيد بن محمد بن أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالخبر واستدعوه فتناقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فاتهم أبا عبدالله الحفصى بمدخلته حاجبه فارح فى ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشراف بجاية كانوا ببابه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم فى الرجوع الى طاعة السلطان أبى عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الحرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، وداخلهم فى ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحسن بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبى العباس أحمد بن ادريس البجائى امام بجاية ومفتيها ، فافتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ، فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبى عنان وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبى عمرو فى الكتائب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وذهبت صنهاجة فى كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبى عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض فى الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فأطمأن الناس وسكنوا ، وتوافت لديه وفود الذواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزني فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية قال ابن خلدون : وكنت يومئذ في جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلبت مع الحاجب بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومي ببلدي من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فنهض اليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله



خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس

ثم مقتله عقب ذلك



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا ، وانه لما أقلع عنها نار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان في أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقراة فى اىالة السلطان أبى الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى أبى الحجاج فى أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبو الحجاج غائلته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبى عمرو أن يكتب اليه ويبالغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفنى الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقصيت عجباً من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبى الفضل وكان أكبر الاخوين بالحق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهاز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أثناء ذلك كتابا الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادتہ وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فولى متحقق لا فادته وعدوه مرتقب لا بادته وحلل الصنائع الالهية تضافو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها اللطاف العجائب. فسيان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم، تجل سعوده عن تهور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائزاً بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واطهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى التى
 حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأيد والنصر بالخط السعيد
 ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسخ لملككم الرفيع فى
 العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا
 وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له
 شهبا رصدا ، وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا. فرب مرید
 ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش أهدى وما هدى والصلاة والسلام على
 سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا
 مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا
 الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا يتقطع أبدا
 والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل
 اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى
 ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا
 والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم
 ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم
 منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما
 يملأ أفئدة الكفر كمددا وجعلكم ممن هيا له من أمره رشدا ويسر لكم
 العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء
 غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطاع سعودكم فى
 آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم
 تحدى من الظهور على أعدائه بأية وأجرى جياذ السعد فى ميدان لا يحد
 بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية
 ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفنا ويسدل عليه
 من العصمة سجنا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفنا ونصفنا ونعقد
 بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلقا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى
ونروى غلغ النفس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم
وعضدكم فاننا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد
لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وقال رأيته فى اقتحام الاحوال
وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم
السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد
ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضر عملا استأثر عنا باخفائه
واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن
تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين
سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب
ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعاده كساب
وسحائب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرر
ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى
بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لاتجهل ومن غالب أمر الله
خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسارة تلك الصفقة المعقودة وخمود
تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار
ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعنة
والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقيق بخلوصنا الذى يعلمه
عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما
أسدى فعلم منه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويشير
عجاجة المنازعة من بعد ركوب القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى
ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبت له من الحزم حباله لايفلتها
قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال
جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا
التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقيات والاستعمال فياله من
زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجدله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ومتسبب الى نسبة غير سعيدة وشائء غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور السفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخمد الله لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا يستطيع اصابته السهام كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات الما أبرأ يمن طائر كم علته ماذا الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بزكتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومنه ونسأله أن يلبسكم من اعاتته أوقى جنه فأملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضات الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتبليج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنئكم بصنع على جهتنا يعود وبشابقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم غناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته اهـ

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اثر مقدم الحاجب ابن أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فجهز السلطان أبوعنان اليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره فارس بن ميمون بن وردار فسار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به وأخذ بمخنقه واختط مدينة لمسكره وتجمير كتائبه بسفح ذلك الجبل سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكنافها وسارت الالوية والجيوش فى جهاتها ورتب المسالـح فى ثغورها وأمصـارها

وسار أبو الفضل يتنقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر فى دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه ، وداخله فى التقبض على أبى الفضل وأن يذل له من المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعدته من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله ليلال يسيرة من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما تذكره ان شاء الله



وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطاننا الغنى بالله

على السلطان أبى عنان رحمه الله



كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن معزيا له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى فى أغراض تلك السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طعنه بعض الزعانف فأصماه لوقته ، وباع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاد رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصغر من ملوكهم واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من قبل ، واتخذ لكتابه غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى أمره وتشارك فى الاستبداد معا ، فجرت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان الغنى بالله بعث وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبى عنان مستمدا له على عدوه الطاغية على عادة سلفه فى ذلك ، قال ابن الخطيب : لا أشرفت على مدينة فاس فى غرض هذه الرسالة خاطبنى الخطيب الرئيس أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :

ياقادم وافي بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها تل المنى وتفر بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يضمن تظفر ببحر بالندا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندا بسواه قاس البحر بالضحاح
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعد فى الندا ذكر محاه عن نداه ماح
ما أن سمعت ولا رأيت بمثله من أريحي للندا مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح الغمام الساح
فنواله وجلاله وفعاله فافت وأعيت السن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفر بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الامانى راحة من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لا تحصى ، حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك

ولا ارتياب ، فها أنت تجتنى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا
وتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدي
الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى
المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمري لقد كان وافد على سيدي فى
مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله
قال ابن الخطيب : فراجعته بما نصه :

راحت تذكرنى كؤس الراح واقرب يخفض المجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما دل النسيم على انبلاج صباح
حسنا قد غنت بحسن صفاتها عن دملج وقلادة ووشاح
أمتت تحض على اللياد بمن جرت بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس شمس المعالى الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن همم غدت كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه أنى يقاس الغمر بالضحاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها تزرى بدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قدام فى العرف منها راحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناءه روحى وريحانى الاريح وراح
ولقد تمازج جبه بجوارحى كتمازج الاجسام بالارواح
ولو أننى أبصرت يوما فى يدي أمرى لطرت اليه دون جناح
فالان ساعدنى الزمان وأيقنت من قربه نفسى بفوز قـداح
ايه أبا عبد الاله وانـه لنداء ود فى علاك صـراح
أما اذا استجدتنى من بعد ما ركدت لما جنت الخطوب رياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ قررت عجزى واطرحت سلاح
سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقتك
التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتني وقد سطلت بى
الايواح حتى كادت تتلف الرحال والحاجة الى الغداء قد شممت عن
﴿ الاستقفا - ثالث - 13 ﴾

كشح البطين وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنة وقول لا أدري للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتنى بما يقل مؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الاخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب ولا مجازات للأعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهدية والتحفة الودية وقبلتها امتثالا واستجلت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى الندره فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارضة من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد أعضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله» اه

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شىء من الشعر

يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في الثابت بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر انه وطن في غير عليك ما له وطر
وقد أهتمهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الايات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد « لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا » ونص الكتاب الذي قدم به ابن الخطيب : «المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرت من الاعتماد عليه أسنى ذخريته الولد عن آباءه وجدوده مقام محل أبينا الذي رعى الازمة شأنه وصلة الراعي سجية انفرد بها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والمفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاجب طرقة المستضىء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شىء عن ميقاته ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يقبض العاقل بمائه ولا بظله ، وسيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذى نعصم بسببه الاقوى وتمسك بجبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطافه تتعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقتضيها كرم الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء للملكم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة التى ألبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها لعبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلال نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته عنى حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاخر عابه والدين بهذا القطر قد أئنع بالامن جنبه وأمر من يقول للشئ كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله تعالى لسعادته غير معروف ولا منسوب وخيى لم يكن معتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لاتدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خيى ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبتته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شئ عنه ينقل لطفًا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومثروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقاة فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس و لا نبض للفتنة عرق ولا أغفل
للدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاد نمهدا ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها
وامرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسألة
المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخطبنا صاحب قشالة نرى ما عنده فى
صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا
تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار
وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعاننا على
اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار
وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان
فقدنا والدنا فاتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم
لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت
مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول
وفى تقرير فخركم محصول وأتم رداء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى
يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند
ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى
ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم
وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد
ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد
خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته
فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر
والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا
الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد

خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده
وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى
استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده
الحسان ليكون أبلغ في البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم
وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع
اليه الى الركن الوثيق المبني ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمره
العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع
أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب
من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية
المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من
غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى
نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته اه
وللسلطان الغنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رحمهما الله مراسلات
عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفح الطيب منها جملة وافرة مع
التبنيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عنان الوزير ابن
الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة
طويلة طنانة يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب وأفاق من عذل ومن تائب
ويقول فى أثنائها :

يا ناصر الدين الحنيف وأهله انضاء مسغبة وقل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم أوليس صبحك منهم بقريب
فانظرو بعين العز من ثغر غدا حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس ومجدك ضامن ألا يخيب لديك ذو مطلبوب

وهى طويلة .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتقض على السلطان أبى عنان وزيره وصاحب شوره عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق من شيوخ بنى مرين ووجوهها ، وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ، ثم التأت حاله وضافت مذهب ققضى عليه وأحضر بين يدى السلطان أبى عنان هو وابنه يوم منى من سنة ست وخمسين المذكورة فتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وضيق عليهما ، ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا الى مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داوود ، ثم عقد بعده لولده أبى بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده والله أعلم



رحلة السلطان أبى عنان إلى سلا وتطارحه (*) على وليها الاكبر أبى العباس ابن عاشر رضى الله عنه



كان لبنى مرين عموما وللسلطان أبى عنان خصوصا جنوح الى الخير ومحبة فى أهله وتعرض لمن يشار اليه بالصالح واستمطار لطله ووبله ، وكان الشيخ الاشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسى رضى الله عنه قد استوطن فى هذا التاريخ مدينة سلا ، وكان من الافراد الجامعين بين العلم والعمل المتمسكين بالكتاب والسنة ، الناهجين سنن السلف الصالح فى الزهد

(*) ما وقع لأبى عنان مع ابن عاشر وقع نظيرة لمولاي اسماعيل العلوى مع سيدى أحمد بن محمد بن عبد الله معن الاندلسى راجع ذلك فى الجزء الاول من المقصد الاحمد لسيدى عبد السلام القادرى ص ١٥٠ . وما يليها فإنه مما يحسن الوقوف عليه والتنظير به رحم الله الجميع ولله درالقائل: قتل ملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره ، فتحركت همّة السلطان أبي عنان لزيارته والاقتباس مما يفتح الله به من وعظه وإشارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة الى سلا فقدمها وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون اليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ، ثم أرسل اليه ولده راعبا ومستعطفا فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب اليه كتابا وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاتته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعو بالحافى في كتابه «تحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرني الآن فانظره فيه وبالله تعالى التوفيق



غزوة السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها



لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعترم السلطان أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ، وبعث في الحشد الى مراكش وأوعز الى بني مرين بأخذ الاهبة للسفر وجلس للعطاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعية الى أن احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر الحفصي وجاءوا مهطعين الى السلطان أبي عنان ، وتحيز

الحفصى فى خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبى عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ، ثم بعث بأبى العباس فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف اليبانى من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونفطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم وأقيال بنى أبى الليل منهم يستحثونه لملك تونس فشرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين * وبعث أسطوله فى البحر مددالهم وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بنى الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ولما اتصل به خبر بنى مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهديّة فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعماية وأقاموا بها الدعوة المرينية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبى عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك فى أحوال ذلك القطر وقبض أيدي العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن على ولحقوا بالزاب ؛ وارتحل السلطان فى أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فخرّب حصونهم التى بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والخططة والحملان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضائق العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد فى الرحلة وارتكاب الخطر فى دخول

افريقية ، فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر ونقبأؤه لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى يبقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبي عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبي العلاء للأمر فأسرهما في نفسه ولم يدها لهم ، ورأى قلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفأ وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين في شأنه وقتله رابع أيام التشريق قصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعته الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهيعة بناحية الجريد لاقتضاء جبايته فصبوا الى المغرب واجتمعوا كلهم بباب السلطان أبي عنان فارجأ حركته الى العام القابل وكان ما نذكره ان شاء الله .



وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية



لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقي في نفسه منها سئء وخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعماية ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القفر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رياح ميمون بن على وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحلهم على معسكره ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشاركة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يفاوضه فى أحوال الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أورابن(*) واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك؛ وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى أهليهم فرحين مقبطين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة



وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدي العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأعجله طائف الوجع عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم فراشه

وذكر ابن خلدون ما حاصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابه أوراس

الفودودي وبين ولي العهد أبي زيان محمد بن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من ابناء السلطان فأجمعوا الفتك به والبيعة لآخيه أبي بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف في اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع وثل الى بعض حجر القصر فأتلقت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*) يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنسوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرّد بالامر والنهي دونه « انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال في الجذوة : « توفي السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة »



بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته



كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن عالى الانف حسنه ؛ أعين أدعج جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستبين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دواته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

ينافس العلماء الجلة عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمي العربية والحساب ؛ وكان حافظا للقرآن عارفا بنسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتباً بليغاً ، حسن التوقيع شاعراً أنشد له صاحب الجذوة أشعاراً حسنة من ذلك في الحكمة قوله :

وإذا تصدر للرياسة خامل * جرت الأمور على الطريق الاعوج
وقال ابن الأحمر : « كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر إليه قال بديهة :

تراهم في ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعا»

وللسلطان أبي عنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته الغانية بفاس مشهورة الى الآن ؛ ومن مدارس المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقاً يعرف بفندق اسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى في بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار	والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى	فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد	لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس	أكرم بها فى المجد من آثار
لا زال منصور اللواء مظفرا	ماضى الغزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديم با	بهم العلى محمد بن حـدار
فى عام أربعة وخمسين انقضت	من بعد سبعين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثني شيخنا أبو راشد اليدري أن السلطان أبا

عنان هو الذى أحدث بفاس العلم الازرق فى الصومعة يوم الجمعة »
وقال فى موضوع آخر منها : « حكى أن السلطان أبا عنان المرينى صعد الصومعة يعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجاة وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر بآثر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات
التى يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك
من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من
وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات
ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه قلهم لديه للرشد اصدار وايراد
وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحلل سيرة السلطان أبى
عنان فقال :

وخلص الامر لكف فارس	باني الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المفترس المصنوع له	من نال من كل المساعي أمله
واحد آحاد الملوك العظماء	ومطلع النصر اذا ما أقدماء
ومخجل الغيث اذا الغيث هما	وعالم الملك وملك العلماء
أوجب حق الشعر والكتابة	قاملت أعلامها جنابه
واستجلب الامائل الكبارا	والنساء العلية الاخيارا
يجبرهم على حضور الدولة	فهم بدور وشموس حوليه
وكان جبارا على خدامه	ينالهم بالقسر فى أحكامه
مذهبه ألا يقل عشرة	حتى لارباب التقى والاثرة
فطرة السيف تناهى الدرة	اذ غلبت على المزاج المرة
ومات فيما قيل شر ميتة	بغيلة لنفسه مفتية
لم يغن عنه الباس والبسالة	وأصبحت مهجته مسالة
وألقيت أزمة التدبير	من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كتابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى
ومن أعيان قضائه : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ وهو
جد أبى العباس المقرئ صاحب نفح الطيب وغيره من التأليف الحسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة السرّين اولاد السلطان ابي عنان فقال : اولاده الذكور السلطان ابو زيان محمد والسلطان ابو يحيى ابو بكر السعيد والسلطان موسى والمهدي بالله والمعتمد على الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمكتفي بالله محمد والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبي طريق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقية وعائشة وزنو وسكينة وسما وأم جعفر وأم هاني وجندوزة ولما العزيز المدعوة بمديلة . وكان جميع ما ولد ثلاثمائة ونحو خمسة وعشرين ما بين سقط وغيره .



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله
ابى بكر بن ابي عنان بن ابي الحسن المرينى



فهرس الموضوعات

صحيفة

- ٣ الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم
- ٤ الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك
- ٥ الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله
- ٧ حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله
- ٨ بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته
- ٩ الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله
- ١٠ الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق
- ١١ الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله
- ١٢ استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته
- ١٤ استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له
- ١٥ انتقاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته اياهم
- ١٧ استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
- ١٨ استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة
- ١٩ وفاة الامير أبى بكر رحمه الله
- ١٩ الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله

- الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق
رحمه الله ٢٠
- استيلاء نصارى الاسبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان
يعقوب بهم وطردهم عنها ٢١
- خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله ٢٣
- حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبى دبوس منها
اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك ٢٤
- وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان ٢٥
- فتح حضرة مراکش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين
بها ٢٦
- مراسلة السلطان أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٢٨
- عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ
عن ذلك من خروج قرابته عليه ٢٩
- هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب ٢١
- وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن
زيان ٣١
- وفاة الامير أبى مالك بن أمير المسلمين أبى يوسف ٣٣
- فتح طنجة وسبتة وما كان عن أمر العزفى بهما ٣٤
- فتح سجلماسة وما كان من أمرها ٣٦
- تاريخ وجود البارود ٣٦
- أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرنى فى
الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل
رحمه الله ٣٧

- ٣٩ الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
فتح جبل تينملل ونبش قبور بنى عبد المومن على يد الملياني
عفا الله عنه
- ٤٢
- ٤٤ بناء المدينة البيضاء المسماة بفاس الجديد
- ٤٥ الجواز الثانى للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
- ٤٩ حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغيثا للطاغية ومغتثما
فرصة الجهاد
- ٥٥
- ٥٦ انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب فى ذلك
- ٥٨ الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد
الصلح بينهما والسبب فى ذلك
- ٦٢
- ٦٥ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٦٥ بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته
الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله تعالى
- ٦٦
- ٦٨ قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم
قصر كتامة والسبب فى ذلك
- ٦٨ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان
صاحب تلمسان
- ٧٠ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية
على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له
- ٧١
- ٧٢ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى بحصن تازوطا
انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه
بطنجة
- ٤٧

- فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب
في ذلك ٧٧
- الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث ٧٩
- نكبة بنى وقاصة يهود فاس ٨٠
- انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة ٨٢
- ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة ٨٣
- وفاة السلطان يوسف رحمه الله ٨٥
- بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته ٨٨
- دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى
سجلماسة ٨٨
- بناء قصبة تطاوين ٨٩
- وفاة أبى يعقوب الاشقر ٨٩
- عمل المولد النبوى بالمغرب ٩٠
- رفع أيدي الموثقين من الشهادة بفاس ٩٠
- الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن
يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩١
- ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من
أمره ٩٣
- غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن
أبى العلاء ٩٥
- بناء مدينة تطاوين القديمة ٩٦
- الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد
الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩٧
- نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال
بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك ٩٩
- انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين ١٠٠

- انتفاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان
 ١٠١ أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك
 ١٠٢ قضية أبي الحسن الصغير
 الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق
 ١٠٣ رحمه الله
 ١٠٤ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان
 خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في
 ١٠٥ ذلك
 وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم أياد
 ١٠٨ على الطاغية وما نشأ عن ذلك
 انتفاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن
 ١١٠ ذلك
 ١١١ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله
 ١١٣ أخبار بني العزفي أصحاب سبتة
 المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي
 ١١٦ بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك
 ١١٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله
 الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان
 ١١٨ بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
 حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وأبي علي ثم مقتل أبي علي
 ١١٩ والسبب في ذلك
 وفادة السلطان ابن الأحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس
 ١٢١ وفتح جبل طارق
 فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى
 ١٢٣ لبني زيان

- مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من
خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله ١٢٧
- نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن
وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك ١٣٢
- ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره ١٣٣
- أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف
التي محض الله فيها المسلمين وغير ذلك ١٣٤
- استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء ١٣٧
- بقية أخبار بني العلاء ١٣٩
- مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسماعيل
ابن محمد بن قلاوون ١٤٠
- هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين
للمغرب ١٥١
- مصاهرة السلطان أبي الحسن ثانيا مع السلطان أبي بكر الحفصي
رحمهما الله ١٥٣
- غزو السلطان أبي الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها
انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبي الحسن وما نشأ
عن ذلك ١٥٨
- انتقاض الاطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن
واستيلاؤه على المغرب ١٦٢
- أصل الاشراف الصقليين ١٦٦
- ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما
جرى عليه من المحن ١٧٠
- استيلاء السلطان أبي الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها الى
هنتاة أهل جبل درن ووفاته هناك ١٧٣
- بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته ١٧٤

- ١٧٥ بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا
- ١٧٥ سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس
- ١٧٦ المدرسة المصباحية بفاس
- ١٧٨ وفاة أبي الحسن الصغير
- ١٧٩ وفاة ابن البناء
- الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله
- ١٨١ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي
- ١٨٤ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
- ١٨٤ خروج أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
- ١٨٦ مدينة القاهرة بأرض السوس
- ١٩٠ وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغني بالله على السلطان أبي عنان رحمهم الله
- ١٩١ رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليها الاكبر أبي العباس بن عاشر رضي الله عنه
- ٢٠٠ غزو السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها
- ٢٠١ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية
- ٢٠٣ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله
- ٢٠٤ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته
- ٢٠٥

[REDACTED]

[REDACTED]

فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

- | | |
|--|--------------------------------|
| محمد ١٠١ - ١٢١ | آل زيان ٨٦ |
| ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن اسمعيل ١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٣ | آل الحسين السبط ١٦٦ |
| ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٦ - ١٨٧ | آل عبد المومن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤ |
| ١٩١ | آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦ |
| ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن اسمعيل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥ | ابراهيم بن أبي حاتم العزفي ١١٧ |
| ٩٦ - ١١٣ | ابراهيم بن عيسى اليريناني ١٠١ |
| ابن الاحمر : أبو الوليد اسمعيل بن أبي سعيد فرج ١٢١ | ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤ |
| ابن الاحمر : عبد الله بن أبي الحجاج ١٩٦ | ابراهيم بن هشام ١٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن اسمعيل بن أبي سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢ | ابراهيم بن وقاصه ٨١ |
| ١٢٣ - ١٣٩ | ابن أبي دبوس ١٦١ |
| ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه المخلوع ٨٢ - ١١٣ | ابن أبي زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن نصر ٣٧ | ١٨٠ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢ | ابن أبي العلاء ٩٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغني بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩ | ابن أبي عمارة ٦١ |
| | ابن أبي عمرو ١٨٦ - ١٨٧ |
| | ١٩٠ |
| | ابن أبي عياد ٩٤ |
| | ابن أبي وطاق ١٥ - ١٧ |
| | ابن الاثير ٣٥ |
| | ابن الاحمر ٢٠٦ |
| | ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن |

ابن عبد السلام ١٥٦	ابن الاحمر : محمد الفقيه ٣٢
ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦	٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨
ابن عطوش ٢٥	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
ابن عطية المفسر ٦٤	٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦
ابن علان ٨٠	٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥
ابن كانون ٥١	٨٢
ابن محلى ٥٠ - ٥٧	ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣
ابن مرزوق ١٣٠	ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢
ابن مزني ١٨٣	ابن حجاج ٣٦
ابن الملياني ٧٨ - ٩٧	ابن جحاف ٨٧
ابن هرون ١٥٦	ابن جرار ١٦٥
ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤	ابن جشار ١٥ - ١٧
أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦	ابن الحميدى ١٩١
أبو اسحق ابراهيم بن أبى بكر	ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠
الحفصى ٢٠٢	٣٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦
أبو اسحق بن أبى الحسن ٦٨	٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧
أبو اسحق بن أبى العاص ١٠٩	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢
أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠	١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧
٤٥ - ٦٨	١٩٥ - ٢٠٤
أبو اسحق الساحلى ١٥٢	ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥
أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥	١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧
أبو بكر بن زكرياء الحفصى ١١٦	١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢	١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧
أبو بكر بن حمامة ٤	ابن راشد القفصى ١٥٦
أبو بكر بن جزى ٢٠٦	ابن زيان البلشى ١٠٩
أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١	ابن عبد الرحمن المغيلي ١٥
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦	ابن عبد الرفيع ١٥٦

٦٨	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١
أبو الحسن بن القطان ٤٤	٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٧٤
أبو الحسن بن كماشة ١٠١	أبو بكر بن يعقوب ٧٦ - ٧٧
أبو الحسن الصغير على بن محمد	٧٩ - ٩٢
الزرويلي ١٠٢ - ١١٣ - ١٨٧	أبو بكر بن يغمراسن ١٦
١٧٨	أبو بكر الحفصي ١٢٥ - ١٣٤
أبو الحسن على بن الحاج ٥٨	١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
أبو الحسن على بن عثمان ١٠٣	١٦٢
أبو الحسن على بن القبائلي التيمملي	أبو بكر السعيد بن أبي عنان ٢٠٠
١٧٨	٢٠٥
أبو الحسن على بن أبي سعيد عثمان بن	أبو تاشفين الزياتي ١١٩ - ١٢٠
يعقوب بن عبد الحق المريني	١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦
السلطان الاكل ١٠٣ - ١٠٥	أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو
١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١١	١١٦
١١١ - ١١٢ - ١١٦	أبو ثابت بن عبد الرحمن الزياتي
١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠	١٧٢ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥	أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩	٨٤ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤	٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨	١٣٩
١٤٠ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٢	أبو حاتم العزفي ٥١ - ١١٣
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦	١١٤
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠	أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني
١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥	- ابن الامير - ٣٤ - ٣٥
١٦٦ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣	أبو حديد مفتاح بن أبي بكر ١٨
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧	أبو الحسن بن أبي العافية ١٢
١٨٦ - ١٩١	أبو الحسن بن اسحق بن اسقيلولة

- أبو الحسن علي بن يزكاسن ٦٦
أبو حفص بن أبي بكر بن عبد الحق
المريني ٣٥١٩
أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ - ٣٦
أبو حفص عمر المريني ٢٠
أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ٨٨
أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ - ١٠٤
أبو خالد محيو بن أبي بكر ٤
أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبي
حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤
٢٥ - ٢٦ - ٢٧
٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
أبو دنان سليمان بن علي ١٧٣
أبو راشد اليدري ٢٠٦
أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد
الله بن يوسف بن عبد الحق المريني
٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١
١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣
١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
أبوزكرياء بن أبي بكر الحفصي ١١٦
١١٧ - ١١٩
أبو زكرياء بن أبي حفص ١٢
- أبو زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي
١١٣ - ١١٥
أبو زكرياء يحيى - الوائق - الحفصي
٢٩ - ٥٣
أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب العزفي
١١٤
أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد
الهنداني ٢٨
أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
أبو زيان بن أبي سعيد ١٨٣
أبو زيان بن أبي عنان ٢٠٥
أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦
٨٧ - ٩٢
أبو زيان محمد بن عبد القوي بن
العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨
٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب
١١٣ - ١٢٦
أبو زيد الحفصي ١٨٦
أبو زيد الغفاري ٨٣ - ٨٤
أبو زيد الفاسي ٣٦
أبو زيد محمد بن أبي بكر الحفصي
١٨٥
أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢
٩١ - ٩٢
أبو سالم بن أبي الحسن المريني

١٦٠ - ١٨٦

أبو سالم فتح الله السدراتي ٤٤

أبو سعيد الاصغر ١٠٣

أبو سعيد الأكبر ١٠٣

أبو سعيد بن أبي الربيع القبائلي ٤٣

أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء ٩٨

أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني

٩

أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزياتي

١٨٢

أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق

المريني ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥

١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠

١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤

١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨

١١٩ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠

١٧٨ - ١٧٩

أبو سلطان عزيز الداني ٧٤ - ٨٢

أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصاوني

١٧٦

أبو طالب بن محمد أبي مدين ١٥٢

أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧

٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١

أبو العباس ١٤

أبو العباس أحمد بن أبي بكر الحفصي

١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢

أبو العباس أحمد بن ادريس البجائي

١٨٥

أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسي

٢٠٠ - ٢٠١

أبو العباس أحمد بن عاشر السلاوي

- الحافي - ٢٠١

أبو العباس أحمد بن محمد الازدي

- ابن البناء - ١٧٩

أبو العباس أحمد بن رافع

الصقلي ١٦٦

أبو العباس أحمد بن علي الملياني ٧٧

أبو العباس الزواوي ١٧١

أبو العباس الغماري ٢٩ - ٥٣

أبو العباس الفضل بن أبي بكر الحفصي

١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠

أبو العباس المقرئ ١٢٢ - ١٥١

٢٠٧

أبو العباس الوشريسي ١٥٤

أبو عبد الرحمن بن أبي الحسن

المريني ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢

١٣٣

أبو عبد الرحمن المغيلي ١٥

أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف

٦٩ - ٧٥

أبو عبد الله الآجمي ١٥٤

أبو عبد الله الابي ١٧١

أبو عبد الله بن أبي بكر الحفصي

١٦٣

- أبو عبد الله بن أبي الحسن بن
اشقيلولة ٤٥
- أبو عبد الله بناني ٣٦
- أبو عبد الله بن الحباك ٤٤
- أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
- أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
- أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
- أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
- أبو عبد الله الطنجالي ١٠٩
- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن
أبي بكر الحفصي ١٥٥ - ١٥٦
- ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ٢٠٨
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ ٢٠٧
- أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ٨٢
- أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن الصباع المكناسي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ١٥٤
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله
- ابن الحاج ٢٢
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي
عمرو ١٦٥ - ١٨٤
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد
المقرئ ١٨٠
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
- أبو عبد الله محمد الكناسي ٢٩ -
١٠٧
- أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن
أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
- أبو عثمان الوريكلي ٢٠
- أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
- أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ١٠٣
- أبو علي أحمد الملياني ٤٣ - ٧٧
- أبو علي بن محمد ١٤
- أبو علي وانودين ٦
- أبو علي عمر بن السعود بن خرباش
الحشمي ٨٣
- أبو علي عمر بن عثمان (أبو سعيد
المريني) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧
- ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣
- ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢
- ١٢٣
- أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني
١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

أبو القاسم بن عتو ١١٧ - ١٥٤

١٧٠ - ١٥٦

أبو القاسم الشريف ١٩٥

أبو مالك بن أبي الحسن المريني ١٢٢

١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٢٥

أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب ٢٣

٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣

أبو محمد بن أجانا ١٦٨

أبو محمد بن اشقيلولة ٤٨ - ٤٠

أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين

العثماني ١٧٨

أبو محمد عبد الحق ٦٣

أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ٧٨

٨١ - ٨٨ - ٩٩ - ١٠٠

أبو محمد عبد الله بن تافراجين

١١٦ - ١١٧ - ١٣٢ -

١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ -

١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠

٢٠٢ - ٢٠٣

أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ١١٢

١١٨ - ١٢٧

أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ١٢٠

١٧٧

أبو محمد الفشتالي ١٤ - ١٩

أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن

أبي مدين ١٤٤ - ١٤٩ - ١٧٣

أبو المطرف بن عميرة المخزومي ١٢

١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦

١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥

١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢

١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧

أبو عنان فارس يغمراسن ٣٢

أبو عياد بن أبي يحيى بن حمامة ١٣

أبو عياد بن عبد الحق ٩

أبو غالب المغيلي ١٠/١

أبو فارس عبد العزيز الملوزي ٨٨

٩١

أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون

١٣١ - ١٤٠ - ١٤٧

أبو الفضل بن أبي الحسن المريني

١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩

١٩٠ - ١٩١

أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن

أبي مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧

١٥٣

أبو القاسم البرجي ٢٠٧

أبو القاسم بن أبي العباس العزفي

٣٤ - ٣٥ -

أبو القاسم بن أبي مدين العثماني

١/١٥

أبو القاسم الرحوي ١٥٨

أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧

- أبو معرف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧
أبو معرف بن محمد بن عبد الحق ٩
١١٠ - ١١١
أبو الملوك عبد الحق المريني ٩ - ٦٤
أبو موسى بن الامام ١٨٠
أبو موسى عيسى ١٢٦
أبو الهول بن حمزة ١٥٥
أبو الهول بن يعقوب ١٦١
أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن
قلاوون ١٤١
أبو يحيى بن أبي الصبر ٩٠ - ٩٦
٩٧
أبو يحيى بن عيسى بن علي بن أبي
الطلاق ٢٠٠
أبو يحيى القطراني ١٩ - ٣٦
أبو يعقوب الاشقر ٨٩ - ٩٠ -
١٧٨
الانبج ٣١ - ٥٩
أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ١٥٩
أحمد بن حمزة ١٥٩
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي
٢٠١
أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح
١٢٩
أحمد يوسف بن مزني ٢٠٤
ادريس بن عبد الحق ٧ - ٢٣٩
٨٨
ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨
ادريس بن عثمان بن أبي العلاء ١٦٥
٢٠٣
اسحق ٢٧
الاشراف العلويون ٨٨
الاصنيول ٢١
اعراب افريقية ١٥٥
الاغزاز ١٣
الاكراد ٩١
أم العز ابنة محمد بن حازم العلوي ٥٨
أهل أزغار ١٠ - ٣٢
أهل الاندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨
٥٣ - ١٠٠ - ١٠٩ - ١٤٢
أهل بجاية ١٦٣
أهل بلاد الجريد ١٧٠
أهل تاونت ٧٩
أهل تلمسان ٨٥
أهل تونس ١٠٧
أهل الحرمين ١٤٧
أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨
أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣
١١٥ - ١٦٥
أهل طريف ٧١
أهل طنجة ٣٥
أهل العدو ٣٠ - ٩٥
أهل غرناطة ١٠٩
أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤

أهل بعلبك ١٦٣	أهل مائ ١٦٣
أهل المغرب ١١-٢٨-٣١-٣٢	أهل مائ ١٦٣
٥٩-٦٠-٦٩-٧٠-٨٢	أهل مائ ١٦٣
٨٣-١٣٥-١٦٣-١٦٤	أهل مائ ١٦٣
أهل مائ ١٢٠	أهل مائ ١٦٣
أهل مائ ٧٩	أهل مائ ١٦٣
أوربة ١٣٩	أهل مائ ١٦٣
أولاد أبي الغلا ١٦٥	أهل مائ ١٦٣
أولاد أبي اللث ١٥٩-١٧٠	أهل مائ ١٦٣
أولاد جرار ١٥٢	أهل مائ ١٦٣
أولاد مساح بن يحيى ٢٠٤	أهل مائ ١٦٣
أولاد علي ١٣٣	أهل مائ ١٦٣
أولاد القوس ١٥٩-١٦١	أهل مائ ١٦٣
أولاد محبوب ١٧٦	أهل مائ ١٦٣
أولاد محمد ٢٠٤	أهل مائ ١٦٣
أولاد محلي ٦٧	أهل مائ ١٦٣
أولاد مهنا ١٥٥-١٥٩	أهل مائ ١٦٣
١٦١-١٦٢-٢٠٢-٢٠٣	أهل مائ ١٦٣
أولاد بن عبد الملك ٩	أهل مائ ١٦٣
حرف «ب»	أهل مائ ١٦٣
الربيع ٣-٣٠-٣٦	أهل مائ ١٦٣
الرفاع ١٣٦	أهل مائ ١٦٣
ربيع الترحي ٣٢	أهل مائ ١٦٣
بطرقة بن ساجدة ١٠٨	أهل مائ ١٦٣
أهل مائ ٩	أهل مائ ١٦٣

١٩ - ٢٠ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥	بنو زيان ٩٧ - ١١٩ - ١٢٤
٢٨ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦	١٢٥ - ١٥١ - ١٧٢
٣٨ - ٣٩ - ٤٣ - ٤٨ - ٥٢	بنو سعيد ٧٤
٥٤ - ٥٦ - ٥٩ - ٦٦ - ٦٨ - ٧١	بنو سليم ١٥٨
٧٢ - ٧٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩١	بنو سويد ١٣٣
٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١	بنو عامر ١٣٣
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦	بنو عبد الحق ٢٠ - ٢٩ - ٣٠
١٠٨ - ١٠٩ - ١١٢ - ١١٤	٦٧ - ٧٢
١١٧ - ١١٨ - ١١٩	بنو عبد الله بن عبد الحق ٢٩
١٢٢ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٦	بنو عبد الواد ٣ - ١٦ - ٢٠
١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦١	٢٦ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٣
١٦٣ - ١٦٦ - ١٧٢ - ١٧٣	٥٤ - ٧٦ - ٨١ - ٨٥ - ٩٢
١٨٣ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢	١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠ - ١٦٣
٢٠٣	١٦٤ - ١٦٥ - ١٨٢ - ١٨٣
بنو مسكين ١٥٩	١٩١
بنو معقل ٣٦ - ١٥٢	بنو عثمان بن أبي العلاء ١٢١
بنو واسين ١٢٦	بنو العزفي ٨٢ - ٩٠ - ١١٣
بنو هلال ١٢٧ - ١٣٤	١١٥
بنو ورتاجين ٨٧	بنو عبد المومن ١٢ - ١٤
بنو الوزير ٧٢ - ١٨٤	١٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٣٤
بنو وطاس ١٣ - ٧٢	٤٣ - ٧٢ - ٧٧ - ١٠٩
بنو وقاصة ٨٠ - ٩٩	بنو عسكر ٧ - ٧٧ - ٧٩ - ١٢٤
بنو و نكاسن ١٧٢	١٥٦
بنو يدلتن ١٢٥	بنو كعب ١٥٩ - ١٦٦ - ٢٠٢
بنو يزناسن ١٣ - ١٣٣	بنو مرين ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -
بنو يغمراسن ٩٢	٨ - ٩ - ١٠ - ١١ -
بنو يفرن ٣	١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨

الحرّة - أخت أبي الحسن المرينى

١٤٠ - ١١٤٧

الحرّة - أم المعز ابنة محمد حازم

العلوى - أم السلطان يعقوب المرينى

٨٩

الحرّة مريم ١٣٠

الحسن بن أبي عامر بن عبد الله بن

يعقوب المرينى ٩٣

الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤

١٦٥

الحسن بن على بن أبي الطلاق

١٠٢

حسن بن قاسم الحسنى ٨٨

الحسن بن عمر الفودودى ٢٠٤

٢٠٥

الحشم ١٢٥

الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣

١٠٧ ١٣٥ ١٣٢ ١١٦ ٧٢

١٠٨ - ١٠٩ - ١٦٣ - ١٨٤

١٨٥ - ٢٠٣

حمادة بن محمد ٤ - ٧

حمو بن يحيى العسكرى ١٥٥

حميفة بن أبي ندى ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبي بكر الحفصى ١٥٥

خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

حرف «ت»

تاشفين بن أبى الحسن ١٢٠

١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦

تاشفين بن أبى مالك ٥٠

تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب

المرينى ٣٩

تاشفين بن يعقوب الوطاسى ١٠٠

١٠١

الترك ٨٣

تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

الثعلبى المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣

الجلالقة ٤٥

جمال الدين ١٣٠

جمال الدين بن نباتة المصرى ١٣١

جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى

ابن محلى ٦١١

الحاج المسعود ٩٣

١٥٩ - ١٦١

الخضر الغزى ٦١

الخطيب بن مرزوق ١٧٧

الخلط ٣١ - ٥٩

خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩

خليفة بن أبي زيد ١٥٩ - ١٦١

خليفة بن وقاصه ٨١ - ١٠٠

خليفة بن عبد الله ١٥٩

خليل الصفدى ١٤٧

حرف «د»

داود بن السلطان يوسف ٧٤

دعد ٨٦

الدولة الاحمرية ١٢١

دولة الاندلس ١٢٣

دولة زناتة ١٢٥

الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨

١٦١ - ٢٠٥

دولة الموحدين ٢٢

«حرف ذ»

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥

١٨٦ ٢٠٣ - ٢٠٤

ذوى حسان ٣١

حرف «ر»

الرشيد بن المامون ١٠

رضوان ١٩٢

رميثة بن أبي نسي ٨٣

رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤

٢٠٢

حرف «ز»

زانا بن يحيى ٤

زكارة ٩

زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢

٣٣ - ٤٠ - ٥٤ - ٨٣ - ١٠٤

١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٦

١٨٢ - ١٨٣

زواوة ١٨٣

زيان بن أبي عياد بن عبد الحق

٤٨ - ٥٠

زيان بن عبد الحق ٩

زيان بن عمر الوطاسى ١٣٣

زيد بن فرحون ١٣٥

حرف «س»

سانجة بن هيراندة ٥٥ - ٥٦

٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣

٦٦ - ٧٠ - ١١١

سدراة ٩

سعادة الخصى ٨٥

السعود بن خرياش ١٥

السعيد - على بن المامون الموحدى -

حرف «ط»

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف «ظ»

ظافر ١٥٦

حرف «ع»

عائشة ابنة أبى بكر بن يعقوب المرينى

١٣٦

عائشة ابنة أبى بكر الحفصى ١٨١

عائشة ابنة الامير أبى عطية مهلهل بن

يحيى الخلطى ١٠٣

عائشة الجزرية ١٨١

عام المشعلة ٦

عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨

٣٠

عامر بن فتح الله السدراتى ١١٥

١٧٧

عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢

٧٣

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد

الحق المرينى ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣

١١٤ - ١٢٥

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق

١٦

عبد الحق بن محيو المرينى ٤ - ٥

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥

سفيان ٣١ - ٥٠ - ٩٤

سليم ١٥٩ - ٢٠٢

سليمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣

سليمان بن عبد الملك ٩

سليمان بن عبد الله بن السلطان يوسف

٧٤

سليمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩

سليمان بن يرزيكن ١٠٠

سوط النساء ٢٩

سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف «ش»

الشبانات - ٣١

شريد الفرنجى ١٥

شعيب بن مخلوف بن أبى عثمان ٩٩

شمسى الزواوية ١٢٤

شمس الضحى ١٨١

الشيخ خليل ٣٦

حرف «ص»

صخر بن موسى ١٥٦

صناكة ١٩١

صنهاجة ٣١ - ٣٩ - ١٥١

١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥

الصنهاجيون ١٨٥

- ٧-٨-٩-١٩-٢٣ عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
عبد الرحمن الوطاسي ١١٤
عبد الحق بن يعقوب الوطاسي - رحو
١٠٢-١٠٣-١٠٤-١١٤
١٢٥
عبد السلام الاوربي ١٩
عبد العزيز بن أبي بكر الحفصي ١٥٥
عبد العزيز بن محمد القديوي ٧٨
عبد العزيز بن محمد بن علي الهتائي
١٧٣
عبد الكريم بن عيسى ٧٨٧٧
عبد الله بن ابراهيم الفودودي ١٧٧
عبد الله بن أبي الحسن المريني ١٦٣
عبد الله بن عبد الحق ٩
عبد الله بن علي بن سعيد ١٦٥
١٨٦
عبد الله بن مسلم الزردالي ١٩١
عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
الحق المريني ٩٧
عبد الله السكسيوي ١٩٠
عبد الملك بن محمد العبد الوادي
- ابن حينة - ٣٢-٣٧
عبد الملك بن مكي ١٥٦
عبد الملك بن مروان ٩
عبد المومن بن علي ٤-٢٢-١٧٢
- عبد الواحد بن اللحياني ١٥٩
عبد الواحد بن يعقوب ٣٢
عبد الواحد السكسيوي ٥١-٩٤
عبد الواحد الفودودي ٩٥
العبيدون ١٥٧
عثمان بن أبي تاشفين ١٢٥
١٢٦
عثمان بن أبي العلاء أدريس بن عبد
الحق ٨٣-٩٢-٩٥-٩٧
١٠٠-١٠٩-١٢٢-١٣٩
عثمان بن عبد الحق ٧
عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
يغمراسن بن زيان ١٦٣-١٦٥
١٧٢
عثمان بن عفان ٧٥
عثمان بن عيسى اليريناني ١٠١
عثمان بن يحيى بن جرار ١٦٤
عثمان بن يعقوب ١٠٣
عثمان بن يغمراسن ٥٦-٦٨
٦٩-٧٦-٧٩-٨١
عثمان بن يوسف ١٠٣
عدي بن هنو الهسكوري ١٠٤
العرب ٣-٦-١١-٢٦-٣١
٣٢-٣٦-٣٩-٤٥-٥٠-٦٦
٥٨-٩١-٩٥-١٠٢-١٠٤
١٠٦-١١٨-١١٩-١٢٩
١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٦٠

علي بن زيان ٢٣	١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
علي بن عبد الكريم ٧٨	١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢
علي بن عثمان بن عبد الحق ١٨	٢٠٤
علي بن عمر الوطاسي ١٨٥	عرب افريقية ١٥٨
علي بن غانم ١٥٢	عرب بنى رغبة ٣٢
علي بن محمد الهنتاني ٧٨ - ٧٧	عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤
علي بن منصور ١٥٦	عرب الحارث ٥٠
علي بن يوسف بن زريقاء ٩٧	عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧
علي بن يوسف بن يزكاتن ٧٧ - ٧٠	عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤
عمر بن أبي بكر الحفصي ١٥٤	١٧٣
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩	عرب سليم ١٥٥
عمر بن حمزة ١٦٢ - ١٧٠	عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١
عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق	١٧٣
١٠١	عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤
عمر بن السعود بن خرباش ٧٥	عرب معقل ٦٧
عمر بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٩	عرب المغرب الاقصى ١٥٨
عمر بن عثمان ١٢٥	عرب المنبات ٣٦ - ٣٧
عمر بن علي الوطاسي ١٨٤	العرب الهلاليون ٣
عمر بن موسى الفودودي ١٠٣	عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧
عمر بن يحيى بن محلي ٤٨ - ٥٠	١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٢
٦١	العزفي ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥
عمر بن يحيى بن الوزير ٧٢	عزونة أبة أبي بكر ١٥٣
٧٣	عسكر بن تاحضريت ١٣٧ - ١٣٨
عمر بن يخلف الفودودي ١٠٦	عسكر بن محد ٤
عنبر الخصى ١٥٣ - ١٥٢	عطية بن مهمل ١٢٧
عنتر بن ونزمار ١٧٢	عطارد بن حاجب التميمي ٥٥
عياد بن أبي عياد الفاطمي ٦١	علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣

حرف «ق»

- القاضي المغيلي ١٧
قبائل بني مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل الخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكنة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدمية ٧٧

حرف «ك»

- كتامة ٩٩
الكعوب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠

حرف «ل»

- ليدة بن أبي نسي ٨٣

حرف «م»

- المتوكل العباسي ٧٤
محمد بن أبي زكرياء الغزفي ١١٤
١١٥
محمد بن أبي عمرو ١٨٤
محمد بن أبي عمران ١١٦

عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق

٢٠٠

- عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساي ٣٣

حرف «غ»

- الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غنضالو الفرنجي ١٠٢

حرف «ف»

- فارج مولى سيد الناس ١٨٤
١٨٥
فازنس بن ميسون بن وردان ١٢٧
١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١
٢٠٣
فاطمة ابنة أبي بكر الحفصي ١١٧
١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتي ٤٥
الفرنج ١١، ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٤٢
٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣
٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبي بكر الحفصي ١٥٧
١٦١ - ١٦٣
الفشش ٤٨

المخضب بن عسكر ٤
 مخلوف بن هنو الهيكورى ٩٣
 المرتضى ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
 ٢٤ - ٢٥
 مريم أم ولد أبى سعيد المرنسى
 ١٢٩
 مرين ٤ - ٦٦
 المرينون ١٦٣ - ١٨٢ - ١٨٥
 المستنصر بالله الحفصى ٢٨ - ٢٩
 ٣٥ - ١٧٠ - ١١٠٨
 مسعود بن أبى تاشفين ١٢٥ -
 ١٢٦
 مسعود بن كانون السفينسى ٣٠
 ٥٤ - ٥٥
 المشرف بن أبى عبد الرحمن المغيلي
 ١٥
 المصامدة ١١ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١
 ٣٩ - ٦٠ - ٧٧ - ٩٧ - ١٧٣
 المعتمد بن عباد ٤٩
 معقل ١٥٢
 مغراوة ٣ - ٢٠ - ١٢٤ - ١٦٠
 مكناسة ٦ - ٩ - ٣٩
 ١٦٣
 المقريزى ١٤٧
 المقرى ١٨١
 المثلثون ١٥١
 الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

محمد بن ادريس بن عبد الحق ١٠
 ٢٣ - ٦٧
 المرابطون ٤
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
 ١٣٩
 محمد بن الحكيم ١٣٢
 محمد بن اشقيلولة ٤٨
 محمد بن سلامة بن على ١٢٥
 محمد بن سيد الناس ١١٦ - ١٨٥
 محمد بن العباس بن تاحضريت ١٣٧
 محمد بن عبد القوى ٣٣ - ٤٤
 ٥٤ - ٦٩
 محمد بن عبد الله بن أبى الحسن ٦٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
 محمد بن عطو الجاناتى ٥٩ - ٦٧
 محمد بن على أبى القاسم العزفى
 ١١٥ - ١٣٥
 محمد بن على بن يحيى ٢٧
 محمد بن على بن محلى ٦٧
 محمد بن عمران ٥٩
 محمد بن طالب ١٦١
 محمد بن المحروق ١٢١
 محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
 محمد بن ورزير ٣ - ٤
 محمد بن يغمراسن ٥٦ - ٦٩
 محمد بن يوسف بن هود الجذامى
 ٣٧ - ٣٨

١٧٥	٨٣ - ٨٤ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٣
المنصور الموحدى ٩٠	١٣١ - ١٤٠ - ١٤٣
المهمندار ١١/٣٠	الملند ١٣٥ - ٥٢
مهلهل بن يحيى الخلطى ٦١	منديل بن حمامة ١٢٠
الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠	منديل بن محمد الكتانى ١٠٧
١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨	منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣
٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١	منسا موسى بن أبى بكر ١٥١
٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧	١٥٢
١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦	المنصور بن أبى مالك المرىنى ١٦٤
١٦١	١٦٥
موسى بن أبى الفضل ١٣٣	منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥
موسى بن ابراهيم اليرينانى ١٣٧	منصور بن الحاج خلوق اليباتسى
موسى بن السبتى ٨١	٢٠٢
موسى بن سعيد الصيحي ٩٣	المنصور بن عبد الكريم ٧٨
موسى بن على الهنتاتسى ١١١	المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢
١٢٥	٧٣
ميمون بن بكرون الحفصى ١٣٩	المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤
ميمون بن على ٢٠٤	٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩
حرف «ن»	٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
الناصر ٤	٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠
الناصر بن أبى الحسن المرىنى ١٧١	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
١٧٢	٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب	٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣
٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤	٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١
٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١	٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨
	٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠

يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين

٢٠٣ - ٢٠٢

يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٤

يحيى بن موسى ١١٦ - ١٢٤

يحيى بن حازم العلوى

يحيى الرندامى ١١٥

يزيد بن عبد الملك ٩

يعقوب بن آصناك ٩٣ - ٩٤

يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ٢١

٢٢ - ٢٤

يعقوب بن على ١٣٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣

يفراسن بن زياد ١٢ - ١٣ -

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣

٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣

٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٥٠

٥٣ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١ - ١٢٥

اليفرنى ١٧٥

يوسف بن تاشفين ٤٨ - ٤٩ - ٧٢

يوسف بن عيسى الحشمى ٩٣

١٠٣

يوسف بن قيطون ٦٠ - ٦١

يوسف بن مزنى ١٨٦ - ٢٠٤

يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد

الحق ٩٣ - ٩٥

يوسف بن يزكاسن ١٩

يوسف بن يعقوب ٩٥ - ٩٩ - ١٠٨

يوسف المتصر ٤ - ٥

٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠

٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١

٩٩ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٢٧

١٧٨

نونة ٤٠ - ٤١

حرف «هـ»

هراندة بن سانجة ٥٨ - ٨٢

هشام بن عبد الملك ٩

هلال مولى سيد الناس ١٨٥

هنتاة ٢٨ - ٧٧ - ١٧٣

هواره ٩

حرف (و)

الوطاسى ١٨٥

ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣

١٧٢

حرف (ي)

يحتاتن بن عمر بن عبد المومن ١٧٢

يحيى بن داود ١٨٣ - ١٨٤

يحيى بن سليمان العسكرى ١٢٤

١٥٦ - ١٥٧

يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢

obeykandi.com

فهرس الاما كن

حرف «أ»

أصلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١١٥

أفريقية ٥ - ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠
١١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١
١٥٤ - ١٥٧ - ١٥٥ - ١٥٨
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣
١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤
٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤

كرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥
أم الربيع ٢٠

الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣
٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤
٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧
٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩
٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥
٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨
١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٤
١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢
١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩
١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨
١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦
١٩٤ - ٢٠٠

أزمور ٢١ - ٢٥
آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢
آنكاد ٣٢
أبد ٤٠ - ٥٧
أبو سليط ١٨
أبو طويل ٩٤
أرجونة ٤٧
أرض الاندلس ١٠٨
أرض الحامة ١٥٦
أرض حمزة ١٣٣
أرض السودان ١٥١
أرض السوس ٤٥ - ١٩٠
أرض المغرب ١٨٧
أغمات ٤٣ - ٩٤
الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١
استجة ٦١
أسطبونة ٦٤
أشبونة ١٣٦
اشيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥
٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣
٧٠ - ١٣٨

حرف (ب)

- بلاد الاندلس ٧٥
 بلاد بطوية ٦ - ٢٠
 بلاد بنى بهلول ٩٠
 بلاد بنى توجين ٨٠
 بلاد بنى حسن ٨٤
 بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
 بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
 بلاد تادلا ١٨
 بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
 بلاد حاحة ٩٤
 بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
 بلاد الجريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
 بلاد الريف ١٣ - ٦١ - ٧٢
 ٩٠
 بلاد الزاب ٣
 بلاد زناتة ١٥
 بلاد زواوة ١٧١
 بلاد السوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
 بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
 بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
 بلاد العرب ١٣٤
 بلاد العدو ٦٥
 بلاد غمارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
 ٩٥ - ١٢٦
 بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
 ٤٣
 بلاد القبلة ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧
- باب تحسينت بسجلماسة ١٨
 باب الجديد ١١٢
 باب الحيزين بفاس ١٩
 باب الشريعة بتازا ٦٧
 باب الشريعة بفاس ١٧
 باب الشريعة بمراكش ٤٣
 باب الرب بمراكش ٩٤
 باب الفتوح ٧٤
 باديس ٤٢ - ٥٢
 بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
 بجاية ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
 البرت ٥٧
 برج دار الحرة عزونة ٩٤
 برشيك ٨٠
 بساطت الفرستينة ١٦
 بستان المطارة ٨٩
 بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
 بسيط انكاد ١٨٢
 بسيط وجدة ١٦
 البطحاء ٨٠
 بطوية ١٩
 بغداد ٣٤

١١٨ - ١١٩	تافرجينت ٨٠
١١٥٢	تافرطاست ٧ - ٢٤ - ٦٤
١٢٤	تافريست ٢٠
٨٤	تالموت ٨٠
٨٠	تامدغوست ١٧٣
٢٠ - ١١ - ١٠	تامزوارت ٩٤
٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٣ - ١٠٤	تامزردكت ٨٠
١٧٦	تامسنا ٣١ - ٥٠
٣	تامنطيت ١١٠٧
٩٤ - ٣٢ - ١٠	تاويرت ٧٧ - ١٢٠
٦٧	تطاوين ٩٦ - ٩٧
١٢٤	تكساس ٨٣
١٠٦	تلمسان ٣ - ١٢ - ١٣ -
٩٥	١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٣٢ -
١٥٢	٣٣ - ٣٩ - ٥٤ -
١١٦ - ١٣٥ - ١٥٣	٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤
١٥٧ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠	٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
٥٧ - ٤٠	٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩١
حرف (ت)	٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
١١ - ١١/٤ - ١٩ - ٢٠	١٠٥ - ١٠٨ - ١١٦ - ١١٧
٢١ - ٢٢ - ٥٤ - ٦٩ - ٧٠	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
٩٠ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥	١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩
١٧١ - ١٦٥ - ١٠٦	١٣٢ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٥
٢٦	١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥
٨٥ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤	١٧١ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣
	١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠
	١٩١ - ٢٠٤

جبال طرابلس ٣	نمسان الجديدة ١٧٨
جبال بعلونة ١٧	تلمظيت ١٥٢
جبال غمارة ٢٣ - ٧٤ - ٩٢	نيلكو ١٥٢
٩٥	س ٨٠ - ١٢٤
جبال غياثة ١١	توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ٢٠٢
جبال اصامدة ١٧٣ - ١٩٠	تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠
١٩١	١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣
جبال هسكورة ٩٣	١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
جبال هتاتة ١٧٣ - ١٧٤	١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
١٨٢	١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
جبل ورعة ٦٧	١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢
جبل آصرو ٤٣	١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢
جبل اوراس ٣	٢٠٣
جبل أورابن ٢٠٤	تيسمش ٣١
جبل بيوتش ٧٥	تيكرارين ١٠٧
جبل تيسمش ٤٢ - ٤٣ - ٤٤	التية ١٠٦
٧٧	تيملل ٢٧
جبل جيلير ٢٤	حرف (ج)
جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣	جامع الاندلس ١١٢
جبل راشد ١٧٢	جامع بن يوسف ١٧٥
جبل زانغ ١٧٩	جامع تازة ٧٥
جبل زرمون ١٢	جامع القرويين ٩٠ - ١١٢
جبل مكسبوة ٥٠ - ١٩٠	١٧٦
جبل طارق - جبل الفتح - ٥١	جامع المنصور بمراكش ١٧٤
٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢	جبال بني زرقان ١٠٥
١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦	جبال الشرف ٤٦ - ٦١
١٥٠ - ٢٠٣	

٤٦ حصون الوادي الكبير	٣٠ جبل علوان
٧١ حصن اسطبونة	١٧٨ جبل الكندرتين
٤٧ حصن بركونة	١٢٥ - ٥٤ - ٤٥ جبل وانشريس
٧٠ حصن بجير	١٧٢
٤٠ حصن بلمة	١٧٠ - ١٣٥ جربة
٤٧ حصن بنى بشير	٢٠٣ الجريد
٧٢ - ١٣ - ٦ حصن تازوطا	١٧١ - ١٧٠ - ٨٠ الجزائر
١٨٤ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣	١٧٣
٤٦ حصن جليانة	٥٣ الجزيرة الاندلسية
٣٨ حصن الحمراء	٤٠ - ٣٩ - ٤٠ الجزيرة الخضراء
٦٤ حصن ذكوان	٤٨ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٢ - ٤١
٤٦ حصن روطه	٥٦ - ٥٥ - ٥٢ - ٥٠ - ٤٩
٥٩ حصن ركش	٦٥ - ٦٤ - ٦٢ - ٥٨ - ٥٧
٤٧ حصن الزهراء	١٠١ - ٧٥ - ٧٠ - ٦٦
٧٥ حصن سطبونة	١٣٧ - ١٢٢ - ١٠٧ - ١٠٤
٤٦ حصن شلوقه	١٤٩ - ١٤٥ - ١٣٩ - ١٣٨
٦٣ حصن الصخرات	١٨٠
٤٧ حصن فركونة	٦١ جزيرة كتور
٤٦ حصن قطنيانة	٧٤ جنوة
٥٩ حصن القناطر	١٣٠ الجيزة
٤٦ حصن القليعة	٥٦ - ٤٧ جيان
٩٥ - ٢٣ حصن علودان	حرف (ح)
٤٦ حصن غليانة	١٧٠ الحامة
٦٠ حصن مرتقوط	١٥٠ - ١٢٧ الحجاز
٤٠ حصن المدور	١٢٧ الحرم الشريف
٧٠ حصن بجير	١٤ - ١٣ حصون ملوية

حرف (د)

الدار البيضاء - بفاس الجديد ١٠٧

دار الصناعة بسلا ٢٢

درعة ١١٨ - ٣٦ - ١٩ - ١١٠

١٩١ - ١٢٠

الديار المصرية ١٢٨

حرف (ذ)

ذراع الصابون ٦٩

حرف (ر)

الرابطة ١٤

رباط تازا ٦ - ١٣ - ٢٦ - ٣٣

٤٥ - ٦٧ - ١٠٤

رباط الفتح ٨ - ٢١ - ٢٢

٢٤ - ٤٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥

٩٤ - ١٠٤

رباط المنستير ١٥٧

رندة ٧٥ - ٦٦ - ٤٥ - ٤٠

١٠١ - ١٠٤ - ١٠٧

روض المصاره ١٥١ - ١٢٠

روطة ٥٩

الريف ٩١ - ٦

حرف (ز)

الزباب ١٨٦ - ١٨٣ - ١٥٥

٢٠٢ - ٢٠٤

الزقاق ٧١ - ٧٠ - ٥٢ - ٤٩

١٣٦ - ١٣٥

الزيتون - بناحية فاس - ١١٨

١١٩

حرف [س]

ساحل السوس ١٩٠ - ١٨٧

الساقية الحمراء ٥٨

ساقية غبولة ٢٤

سبتة ٥١ - ٣٨ - ٣٥ - ٢٤ - ٢٢

٩٠ - ٨٣ - ٧٥ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩

١٠٠ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤

١٢٥ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣

١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٣٤

٢٠٢ - ١٦٦ - ١٤٤

سبو ١٠٢

سجلماصة ١٩ - ١٨ - ٥ - ٣

٦٧ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٢٠

١١٠ - ١٠٧ - ٨٩ - ٨٨

١٢٣ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١١

١٧٣ - ١٧٢

١٧٣

سطح الجعاب ١/٥٥

سلا ٢٢ - ٢١ - ١٧ - ٣

١٧٥ - ٥٢ - ٢٩ - ٢٤ - ٢٣

٢٠٦ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٧٦

صقيلة ١٦٦

حرف [ض]

ضواحي افريقية ٣

حرف [ط]

طرابلس ١٣٥ - ١٥٥

طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٨

٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤

٧٥ - ١٠٩ - ١٣٦ - ١٣٧

١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١

طليلة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨

طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦

٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥

١٥٣

حرف [ع]

العدوة ٤٢ - ١٥٧

عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧

١٧٦

العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠

العدوة المغربية ٣١ - ٦٠

العرائش ٣١ - ٨٣

عرفة ١٥٢

عقبة الجزائر بفاس ١٧٩

علودان ٩٧

سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧

سور الاقواس بسلا ١٧٥

السودان ١٢٩ - ١٥١

السوس ٥٤ - ١٢٦

السوس الاقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧

سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢

سوق العطارين بفاس ١٧٩

سيجوم ١٥٦ - ١٥٩

حرف [ش]

شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧

١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢

الشام ١٢٧ - ١٥٧

شدرونة ٤٧

الشرق ١٥٨ - ١٨٣

شرشال ٨٠

شريس ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩

٦٠ - ٦١ - ٧٠

حرف [ص]

صبرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧

الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠

١٧٢

صحراء درعة ٦٧

صحراء الزاب ٤

صخرة أبي بياش ١١

صخرة عباد ٥٥

١٧٢ - ١٦٥ - ١٥٠ - ١٤٦
 - ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٤١٧١
 ١٩٢ - ١٨٢ - ١٨٠ - ١٧٩
 ٢٠٦ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠١
 فاس الجديد ١١١ - ١٠٧
 ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٢٤
 ٢٠١

فحص ازغار ٩٤
 قرصة المجاز ٤٢ - ١٣٨

حرف [ق]

قابس ١٥٦ - ١٥٥ - ١٣٥
 ٢٠٢ - ١٧٠
 القاهرة ٨٤

القاهرة بالسوس ١٩٠

قبة مكناسة الزيتون ٩٠

قبة الملعب ١٦٤

القرافة ١٣٠

قرطاجنة ١٧٦

قرطبة ٧٥ - ٥٦ - ٤٧ - ٤٦ - ٣٧

قرمونة ٦١ - ٦٠ - ٥٩

القرويين ٢٠٦

قرية مكول ٥٠

قسنطينة ١٦٢ - ١٥٦ - ١٥٥

٢٠١ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٦٣

٢٠٤ ٢٠٣ - ٢٠٢

قشتالة ٨٢

عين غبولة ٥٨ - ٢١

عين الصفا ٧٢ - ٦٩ - ١٣

عيون البركة ١٧٦

حرف [غ]

غابة المعمورة ٢٢

غدامس ٣

غرب الاندلس ١٣٦

غرناطة ٥٣ - ٥٢ - ٤٨ - ٣٨

١١٠ - ١٠٩ - ٨٢ - ٦٧

١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٣ - ١١٣

١٩٦ - ١٩١ - ١٨٨ - ١٦٧

غساسة ١١٧

حرف [ف]

فاس ١٣ - ١١ - ١٠ - ٨ - ٣

٢٠ - ١٩ - ١٨١٧ - ١٥ - ١٤

٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٢ - ٢١

٣٦ ٣٥ - ٣٣ - ٣١ - ٢٧

٥٢ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٣٨

٦٧ - ٦٦ - ٥٨ - ٥٤ - ٥٣

٧٩ - ٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٩

٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٠

١٠٣ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٥

١١٠ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤

١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١

١٣٠ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٨

القيروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١

١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤

كلدمان ٢٠

حرف [ك]

كلدمان ٢٠

الكندر تان ٨٩

حرف [ل]

لبلة ٦١

لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ -

١٨٣ - ١٨٤

حرف [م]

مازونة ٨٠

مالى ١٢٩

مالقة ٤٠ - ٤٥ - ٤٨ - ٤٩

٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ -

٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢

١١٣

مالى ١٢٩

مجربط ٤٦

مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥

مدرسة الرخام - المدرسة المصباحية

بفاس ١٧٦

مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦

مدرسة العطارين بفاس ١١٢

القصبات ٥٤ - ٨٠

القصبة - بتاوين ٨٩

القصبة (بتونس) ١٥٧ ١٦١

١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢

القصبة (بسببة) ١١٥

القصبة - بطنجة - ٦٧

القصبة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ -

١٦٤

القصبة (بمراكش) ٢٧ - ١٧٤

القصبة (بمكناس) ٤٤

القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩

قصر الاجم ١٥٧

قصر كتامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ -

٨٣ - ٩٥

قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥ -

٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩

قصر مصمودة ٤٢ ٥٥

قصور نوات ٢٠٧

القطر المغربى ٤

قفصة ١٥٤ - ١٧٠

قلعة بنى سعيد ١٣٧

قلعة تازوطا ١٣

قلعة تاغزوت ١٢٥

قلعة تامزدكت ١٣

قمارش ٤٠

قنطرة ماريج ٨٩

قنطرة وادى النجاة ٨٩

المسجد الجامع بتازا ٩٠	المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥
المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩	المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥
مسجد القتح ١٣٠	المدرسة العانية بفاس ٢٠٦
مسجد القرويين ١١٣	المدينة ١٣٠ - ١٣١
مسراته ١٥٧	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤
مشروع كتامة ٩٤	٤٥ - ٨٩ - ٢٠٦
المشرق ١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٤	مدينة شريش ٤٦
١٧٥ -	مديونة ٩
مصر ٨٣ - ٨٤ - ٩٠ - ١٢٧	مراكش ٥ - ١٠ - ١٢ - ١٥
١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٠	١٧ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
١٥٧	٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٢
المعاهد الشريفة ١٢٧	٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ -
معدن العوام ١٥	٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦
معقل ٣١	٥٨ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧
المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩	٨٥ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ -	٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ -
٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١	١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣
٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤	١٧٤ - ٢٠١
٤٥ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ -	مرس بجاية ١٧٠
١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦	مرسى غساسة ٧٣ - ١١٦
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠	مرسى سبتة ١٣٦
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩	مرسى المرية ١٦٨
٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١	مريالة ٦٦
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -	مرسى المنكب ١٦٨
١١٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤	المرية ٥١ - ١٧٦
١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧	مرقا سبتة ٥٢ - ١٧٦
١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ -	مستغانم ٨٠

١٧٨ - ١٦٤ - ١٢٤ - ٩٢	١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦١ ١٦٠
المنكب ٦١ - ٥١	١٧٥ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠
المهديّة ٢٠٣ - ٢٠٢ - ١٥٧	١٨٦ - ١٨٥ - ١٧٩ - ١٧٨
حرف [ن]	٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٨٧
ندرومة ١٢٤ - ٨٠ - ٧٦	المغارب الثلاثة ١٦٤
١٥٥	المغرب الأقصى ٦٨ - ٣٥ - ٣
نفطة ٢٠٢ - ١٧٠	١٤٤ - ٨٨
نهر شنيل ١٠٩	المغربان ١٢٧ - ١١٨ - ١٢
حرف [هـ]	١٣٥
هنين ١٢٤ - ٨٠	المغرب الاوسط ١٥٥ - ١٥١ - ٣
حرف [و]	١٨٣
وادي آش ٦٠ - ٤٠	مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي ١٠٠
وادي أبي الاجراف ١٦٥	المقرمدة ١٠٦ - ١٨
وادي أم الربيع ٢٦ - ٢٤ - ١٤	مكة ١٥٨ - ١٣٠ - ٨٣
١٧٣ - ٩٤ - ٩٣ - ٣٢	مكنسة ١٨ - ١٣ - ١٢ - ١٠
وادي أم الرجلين ٢٤	١٥٦ - ١٣٩ - ٧٦ - ٧٢ - ٢٠
وادي ايسلى ٣٢ - ١١٦	١٧٩ - ١٧٦ - ١٧١ - ١٦٥
وادي بهت ١٢	١٨٤
وادي تافنا ٥٤	مليلة ٣
وادي تلاغ ٥٤	ملوية ٧٤ - ٥٣ - ٢٠ - ١٩
وادي الزيتون ١٦٥	مليانة ١٢٤ - ٨٠ - ٤٣
وادي سبو ١٧٦ - ١١٨ - ٧	مملكة برنو ١٥١
وادي شلف ١٨٣	مملكة غانة ١٥١
وادي العبيد ٢٦	مملكة كاغو ١٥١
	مملكة المغرب ١٥١
	مملكة مالي ١٥١
	المنصورة ٩١ - ٨٤ - ٨٠

وانشريس ٨٠	ودغفو ٢٧
وجدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩	وطاط ١٣
٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣	وطاط الحاح ١٩
١٣٤ - ١٥٥	وهران ٨٠ - ١٢٤
حرف [ي]	الوادي الكبير ٤٥ - ٦٠
يثر ١٥٨	وادي لك ٥٩ - ٦٣
ينع الحجاز ٨٨	وادي ملوية ١٠٥ - ١١٠
وادي فاس ٨٩ - ١٧٦	١١٧
وادي قصر كتامة ١٧٦	وادي مكور ٦
	واقعة أم الرجلين ٢٤

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٢٢	ظواغن	ظواغن
٤	٣	تيربعين	تيربعين
٧	٢٤	نسى	نسى
٩	١٣	شفا	شفى
١٦	٤	انجاش	انجاش
٢٥	٥	فراره	فراره
٤١	٢٣	كتر	كثرة
٦٠	٦	وحرقه	وحرقه
٧٢	٧	لحقوا	لحقوا
٧٧	٨	والبعث	والبعث
٧٧	٨	عاضهم	غاضهم
٨٣	٦	الحق	لحق
١٠٠	٨	السلطان	السلطان
١٠٥	٣	أبا الحسين	أبا الحسن
١٠٧	١٧	يوعز	يوغر
١١٠	١٦	أغد	أغد
١١٣	٥	المعرف	المعروف
١٢٠	١٠	أغد	اغذ
١٢١	٢١	وقبل	قبل
١٢٢	٧	نقلهم	نقلهم

obeykandi.com

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٥	٢٢	شعر	عشرة
١٢٥	٢٦	وكفت	وكظت
١٤٠	٦	أبضا	أبضا
١٤١	٢١	رحمه	رحمة
١٤٤	٤	وقفه	وقفاه
١٤٩	٩	ازله	ازالة
١٤٩	١٣	سى	شق
١٥٠	١١	فتح	فتح
١٥٤	١٣	قاضي	قاضي
١٥٥	٢٠	بقسطنطينية	بقسطنطينية
١٦٦	١	كر	كبر
١٨١	١٩	كان السلطان	كان هذا السلطان
١٨١	١٩	وعشرته	وعشيرته
١٨٢	٢١	سعا.	سعيد
١٨٨	١١	رافعوا السماء	رفعوا السماء
١٨٨	١١	وأوضحوا السيل	واوضحوا السيل
١٩٦	٨	أنبائه	أنبيائه
١٩٧	١١	معتبر	بمعتبر
١٩٧	٢١	بنظر	ينظر
١٩٧	٢٣	لما	لم
١٩٩	٩	ومضار	ومدار
٢٠٦	٢٦	ذلك	وذلك